خطوات نحو السماء
تصنعها مع يوسف عليه السلام
تأليف
محمد علي الدباسي

خطوات نحو السماء

نصنعها مع يوسف عليه السلام

تأليف

محمد علي الدباسي

الكتاب : خطوات نحو السماء
المؤلف : محمد علي الدباسي
الطبعة الثانية 2020
ISBN : 978-91-89273-31-3
الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية :
2020-09-29-16-05
الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم
السويد، ڤاسترا جوتالند
هاتف : 0046790185518
البريد الإلكتروني : digitizethearabicbook@hotmail.com

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى.

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

للتواصل مع المؤلف

بريد إلكتروني: maldubasi@gmail.com

تواصل اجتماعي: m19aldubasi

إهداء ...

إلى صاحبة الفضل الكبير و الفخامة أمي حفظها الله و إلى والدي الغالي رحمه الله ..
إلى شقيقتي الكبرى العزيزة ..
إلى زوجتي الغالية ..
إلى شقيقي الفاضل و إلى شقيقاتي العزيزات ..
إلى رفقاء الطريق ..
إلى صغاري و إلى أبناء أخي و أخواتي ..
و إلى أبناء و بنات أمتنا و إلى كل إنسان .

مع حبي ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد..

فهذه خطوات أضعها بين أيديكم..

خطوات لنسير بها في الطريق نحو السماء.

نحو ربنا عز وجل.

نحو جنات عدن، وما ذلك على الله بعزيز، لنلحق بركاب الأنبياء، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

خطوات لتكون لنا عونًا ونحن نسير، ونكون بها عونًا لمن معنا.

خطوات نحن بأمس الحاجة لها في زمن أضعنا فيه الطريق.

في هذه الخطوات صحبنا يوسف عليه السلام..

سرنا معه في خطواته لنتعلمها، وكذلك سار أنبياء الله من قبله ومن بعده.

إنها خطوات نسير بها، وليعلم من يعلم أن الخطوات التي سار بها الأولون هي الخطوات التي لابد وأن نسير بها نحن، وهي الخطوات التي سيسير بها من هم بعدنا، لأن الطريق واحد، والهدف المرجو واحد.

خطوات أبحرت فيها مع كتاب الله عز وجل القرآن الكريم، والذي هو لنا دستور ومنهاج، من خلال سورة يوسف، وغير ذلك من الآيات.

أبحرت مع سنة نبينا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، ذلك الذي عاش من أجل أن يعلمنا هذا الدين لنسير بتعاليمه على هذا الطريق.

هذه خطوات، إن أخطأت فيها فمن نفسي والشيطان، وإن أصبت فمن الله وحده، نسال الله أن ينفع بها ويرزقنا الإخلاص وحسن العمل ووالدينا وجميع المسلمين.

فالشكر لله سبحانه، ثم لوالدتي الغالية، وأهلي، وجميع من له فضل علي وإحسان.

اللهم صل على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

محمد علي الدباسي

السبت 3/19 /1433هـ

مدخل

خطوات نحو السماء..

هي رحلتنا على هذه الأرض للوصول إلى السماء.

للوصول إلى الله.

هي رحلة للنجاة بإتباع الحق..

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[1].

هي رحلة نتعرف فيها على مراد الله.

نبحر فيها مع الله، وإلى الله.

خطاها من هم قبلنا.

خطاها أنبياء الله.

خطاها أتباعهم.

خطاها نبينا محمد ﷺ.

خطاها صحابته رضوان الله عليهم، وها نحن نخطوها من بعدهم لنلحق بهم.

[1] سورة الأعراف آية 40.

ولنصل معهم.

ولنتأمل..

لنستكشف كيف وصلوا، ولنتعلم ونتعرف كيف نسير إلى هناك.

إلى السماء.

إلى المولى عز وجل.

إلى تحت ظل عرشه، وما أجمل أن ترحل مع الله إليه.

سنمضي هنا في هذا الطريق وفي صحبتنا نبي من أنبياء الله.

نصحب يوسف عليه السلام.

نسير معه، ونمضي في اتجاه واحد، وإن اختلفت الأزمان، وإن اختلفت الأماكن، وليعلم من يعلم أن هذا الدين دين واحد، له رب واحد، يسير فيه الأولون والآخرون في طريق واحد، وأن الذي ناسب البشر في أول الزمان حتمًا سيناسبهم في آخره، فهيا لنسير الخطوات.

خطوات نحو السماء، فلعلنا نصل بإذن الله.

قبل أن نخطو

قبل أن نخطو لنتأمل.. لماذا نحن هنا؟

نعم، لماذا نحن هنا؟

لماذا وُجدنا على هذا الطريق؟

سؤال مهم لابد لنا من معرفة إجابته إذا أردنا أن نخطو ونسير.

نعرف إجابته حتى نسير بطريقة صحيحة، وحتى نعرف لماذا نسير؟

لنتعرف على سر وجودنا على هذا الكون، ولنسأل أنفسنا: لم خلقنا الله؟

لم أوجدنا؟

هل أوجدنا عبثًا؟

هل جئنا لهذه الدنيا لهوًا ولعبًا؟

هل نحن هنا بلا هدف؟ ولو كنا هنا بلا هدف، لم أرسل الله لنا رسلًا؟

لماذا جاء الرسل؟ وماذا يريدون؟

ثم كيف حال من ماتوا ممن كانوا معنا أو كانوا قبلنا، هل سيعودون أم أن القصة بالنسبة لهم انتهت!

نعلم جيدًا أن الله عز وجل لم يوجدنا عبثًا وهو أعظم من ذلك، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾**﴾[1]، ولذلك نتفق جميعًا على أن الله خلقنا لعبادته، وكلنا يعرف قول المولى عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾**﴾[2]، لكن ليست القضية هنا هي في معرفتنا لذلك، لأن هذا الأمر معروف لدينا جميعًا، لكن لماذا لا نترجم معرفتنا لذلك في أفعالنا؟**

في حياتنا؟

ليست المشكلة في أن نعلم، لكن هي في أن نطبق ما نعلم.

إن القضية هي في استشعارنا لذلك.

استشعارنا أننا عبيد لله ونحن نخوض في هذه الحياة.

نخوض هذه الحياة في كافة مجالاتها.

نخوض هذه الحياة لنرتقي فيها، وبها.

إن كل أمر من أمور حياتنا العملية، والذي نفعله ونحن قابعون في هذه الحياة لنرفع به من مستوى معيشتنا سينتهي بانتهاء أعمارنا، وسيبقى ما قدمناه لآخرتنا فيصلًا في تحديد مصيرنا بعد الموت، لكننا حتما ننسى كل ذلك مع مشاغل الحياة، ومع رغبتنا باعتلاء أعلى المراتب الدنيوية.

إن لا إله إلا الله ليست كلمة تقال للدخول في الإسلام، ولا لأجل أن يُصدح بها في الأذان فحسب.

وهي أيضًا ليست كلمة قولية للفصل بين المؤمن والكافر فقط.. لا .

إننا عندما نقول لا إله إلا الله لابد لنا من أن نترجمها في حياتنا وتصرفاتنا.

---

[1] سورة المؤمنون آية 115 .

[2] سورة الذاريات آية 56 .

لا إله إلا الله إفراد لرب واحد، والإفراد هنا لن يكون استشعارًا في القلب دون ترجمة ذلك الاستشعار في أفعال حياة كل إنسان منا.

لنعلم أن عبودية الإنسان لربه لا تنتهي بانتهاء التسليم في الصلاة فحسب، بل هي مستمرة معه وهو ماض في جميع شؤون حياته.

في كل أمر يخوضه في هذه الحياة.

لنربط حياتنا بالله، ووالله لن يخسر من ربط حياته بربه.

من عاش لله و مع الله.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[1]

قالها إبراهيم عليه السلام، ذلك النبي الذي جعل حياته كلها لله، وكان نتيجة ذلك أن أصبح خليل الرحمن، ووصفه الله بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّـهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾[2]**، جعل الدنيا لله فأكرمه المولى بالدنيا والآخرة، وعلى ذلك لنعلم أن علاقة العبد بربه ليست علاقة بين مدين بدائن.**

بمدين يريد أن يصلي لأنه يشعر أنها دين يجب قضاؤه.

بمدين يريد أن يصوم لأنه ملزم بذلك.. لا .

إن علاقة العبد بربه هي علاقة عبد بمعبود يرجو رحمته ويخاف عقابه.

بعبد يسارع للخيرات إرضاء لربه.

بعبد يفعل الأوامر ويجتنب النواهي استشعارًا لعبوديته لربه.

---

[1] سورة الأنعام آية 162 .

[2] سورة النحل آية 120- 122 .

بعبد يحسن الظن بربه رغبة فيما عنده من نعيم.

هي عبودية خالصة لله.

نتذكرها دائمًا.

بل لنعيشها دائمًا.

لنعيشها ونحن نسير في هذه الحياة.

لا يأخذنا حب الدنيا إلى أن ننسى ما نحن هنا من أجله، وسنلاحظ في رحلتنا هذه كيف كان يوسف عليه السلام يستشعر ذلك وهو يخطو خطواته في هذه الحياة.

كيف سار عليه السلام في هذه الدنيا وهو ماض نحو السماء.

نحو ربه، وكيف أنه عندما سار مستشعرًا ذلك وصل عليه السلام.

لنلاحظ ذلك ونحن نخطو خطواتنا باتجاه السماء.

و قبل أن نخطو لنعلم أنها لله:

لن نصل طالما أننا نسير لغير الله.

طالما أننا أشركنا في خطواتنا غيره.

طالما أردنا أن نعجب بها غيره ﴿إِنَّ اللَّـهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[1] .

إن الله واحد أحد، خلقنا لعبادته وحده سبحانه لنسير نحوه.

لنخطو إليه.

[1] سورة النساء آية 48 .

لنفر منه إليه.

لا يرضى أن نشرك معه أحد في خطواتنا، ولو فعلنا ذلك لنعلم جيدًا أننا نخطو نحو سراب.

لنجتهد جيدًا ونحن نخطو أن نخلص نياتنا ونعلق قلوبنا بالله عز وجل، ولنعلم جيدًا أننا لن نصل طالما أننا أشركنا مع الله أحدًا.

لنعلم ذلك جيدا قبل أن نخطو.

الرحلة بحاجة إلى زاد

لننطلق مع يوسف عليه السلام ونسير معه.

لنبدأ الخطوات من حيث بدأت معه الآيات.

لنبدأ من مجيئه لأبيه يعقوب عليه السلام ليخبره بما رآه في منامه من رؤية الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[1]

لنتأمل حواره مع والده عليهما السلام.

لنتأمل كيف أن هذا الابن الصغير رأى في منامه أمرًا أخذ يفكر به، وكيف أنه ما لبث أن ذهب لأبيه الذي يطمئن له ليخبره عن ذلك، لعلمه أنه بذلك سيجد جوابا لتساؤلاته.

لنتأمل ذلك ثم لنرى كيف أن والده خاطبه بلغة سهلة ودوده، وأجابه بما ينفعه حرصًا عليه كابن، واستشعارًا من رؤيا رأى من خلالها المكانة التي سيصل

[1] سورة يوسف 4- 6 .

إليها، تلك المكانة التي هي بحاجة لتضحيات من أجل أن تتحقق، ولذلك أراد هنا أن يعلمه ما يعينه ويبدأ به المسير.

أعطاه من الزاد ما يعينه على الطريق، والطريق هنا ليس ما يوصل للمكانة التي علمها يعقوب من رؤيا ابنه فقط، إنما هو أيضًا زاد يعينه في الطريق الموصل إلى السماء، والذي لابد و أن يخوضه كل إنسان منا.

من المعلوم لنا أن من أهم الأشياء التي نفكر بها و نحن نتجهز للسفر هي الزاد.

الطعام والشراب.

هل نأخذه من هنا أم أن في الطريق ما يغني؟

ونحن ماضون في هذه الحياة.

في الطريق إلى السماء.

ماضون في رحلتنا هذه لابد لنا من زاد يعيننا على الطريق.

من زاد يعيننا للوصول، وليس هنالك زاد أفضل من تقوى الله يقول المولى عز وجل : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[1] .

يأمرنا الله سبحانه وتعالى هنا بالتزود ويبين لنا أن خير ما يتزود به الإنسان هو تقوى الله.

هي العقيدة الراسخة، ومعرفة الله سبحانه.. نعم.

إن ما سيواجه الإنسان من أمور وهو يسير في هذه الحياة.

من فتن قد تتربص به وإشكاليات تشكل عليه ستوقعه حتمًا في عقبات لن يستطيع الخروج منها، ولن يستطيع مواجهتها طالما أنه لم يتزود بالتقوى.

[1] سورة البقرة آية 197 .

طالما أنه لم يتزود بعقيدة صحيحة وتربية، وسنتعرف هنا ونحن نسير هذه الخطوات كيف أن تقوى الله كان سندًا وساعدًا لنبي الله يوسف عليه السلام في هذه الحياة.

في خطواته وهو يسير باتجاه السماء، ولنعلم أنها ليست خطوات ليوسف عليه السلام فحسب كما ذكرنا، إنما هي لنا جميعًا ونحن نخطو نحو السماء.

إن غياب التقوى هو غياب يصاحبه توهان لصاحبه فيضل به الطريق.

يضل به الطريق لأن التقوى هنا هو الحاجز الذي يحول بيننا وبين أن نعصي الله عز وجل ويشعرنا بأن ثمة خطأ قد يحدث فيعيدنا إلى الطريق، ولذلك كان هذا الزاد هو أفضل ما يقدمه يعقوب عليه السلام لابنه عندما قص عليه رؤياه، وهنا قد يتبادر إلى أذهاننا سؤال.. وهو كيف نتحصل على التقوى؟

إن تقوى الله عز وجل لن يتحقق لأي منا طالما لم تتوفر فينا أمور.

طالما لم يتوفر فينا استشعار عظمة الله في نفوسنا، وهوان الدنيا.

لم تتوفر فينا معرفة الله سبحانه وحقيقة ما نحن فيه، ولذلك كان من يعقوب عليه السلام أن عرف ابنه بربه.

عرفه بربه حتى يعرف من هو الله، ويعرف فضله عليه وعلى آبائه، وأن ما وصل إليه آباؤه من مكانة ما كانوا ليصلوا إليها دون فضل من الله عز وجل.

إن معرفتنا بالله هي العقيدة التي لابد وأن تتأسس في نفوسنا، ونتعلمها، وأن نؤمن بها.

هي عقيدة أسسها فينا رسولنا محمد ﷺ وأنزلها الله سبحانه في كتابه.

أسسها فينا عليه أفضل الصلاة والسلام حتى نزداد تعلقًا بربنا.

عندما أردت أن أكتب في جانب معرفة الله تذكرت نبي الله يعقوب عليه السلام يوم أن قال لأبنائه، ولنتأمل إلى يعقوب عليه السلام وهو يخاطبهم عندما لاموه على تذكر يوسف تمسكه بأمل رجوعه إليه بعد أن أخبروه بأن الذئب قد أكله.

لنتأمل ماذا قال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّـهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[1]

وأعلم من الله ما لا تعلمون.

سبحان الله، ما الذي عرفه يعقوب عن ربه عز وجل؟

ما الذي جعله متيقنا به؟

كيف أنه عليه السلام ربط أمله بالله.

علق رجوع ابنه بربه سبحانه.

إنه العلم بالله.

إنها معرفة الله سبحانه.

إنه الإيمان، والعقيدة الراسخة التي ترسخت في هذا النبي عليه السلام، فسمعنا ما قال.

سمعنا ما قال، ولذلك لم يخيبه المولى سبحانه، لأن النبي ﷺ يقول في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه: (أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء)[2] .

لم يخيبه الله ولذلك عندما جاءه البشير ليعلمه بوجود يوسف عليه السلام قال لأبنائه: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾[3].

---

[1] سورة يوسف آية 86 .

[2] صححه الألباني في صحيح الجامع .

[3] سورة يوسف آية 96 .

قالها مستبشرًا فرحًا، وقد قالها قبل ذلك مؤملًا راجيًا، ولذلك لا غرابة من هذا النبي الصالح أن يعلم ابنه معرفة الله عز و جل.

لنكن مثل يعقوب عليه السلام ونصلح عقيدتنا، ونعرف ربنا حق المعرفة، حتى إذا زللنا يومًا ما فإننا نعود ونرجع

نعود لأننا سنكون حينها نعرف رحمته وغفرانه فنرجع تائبين.

إنها معرفة الله يوم أن تعلمناها فعرفنا كيف نعبده سبحانه.

نعرف أنه كريم.

رحيم.

ودود، رحمن.

أيضا نعرف قوته.

نعرف مكره وبطشه، وأنه هو المنتقم.

نعرف ذلك حتى لا نعصيه.

نعرف ذلك حتى نفكر ألف مرة عندما نتجاوز حدوده.

إننا كلما زدنا معرفة بربنا سبحانه كلما كان ذلك وقودًا لنا في تمسكنا بعبادته، بل ووقودًا لنا في الصبر عند البلاء.

إن معرفة الله عز وجل تهون علينا كثيرًا من الأمور ونحن نسير في هذه الحياة، ونواجه ما فيها، لأنها من الزاد المعين لنا في خطواتنا، والباعثة للطمأنينة في نفوسنا.

إن حياة الإنسان مرتبطة ارتباطًا كليًا بعقيدته، وأننا عندما نتحدث عن استحالة فصل ذلك عن ذلك فليس ذلك مجرد هباء.

ليس هباءً لأن الإنسان منا بحاجة لعقيدة تبعث في نفسه الطمأنينة، وتشعره بالأمان النفسي وهو يسير في هذه الحياة يبني فيها لآخرته ودنياه.

بحاجة لعقيدة تكون له زادًا وتذكره بخالقه في الرخاء، وتخبره بأنه سيكون معه في شدته.

إن ما نشاهده أو نسمعه من أن أناسًا بلغ بهم اليأس مبلغه، أو ضاقت عليهم أنفسهم رغم ما هم فيه من رغد عيش، ما هو إلا دليل على صحة تلك النظرة.

وصحة هذه النظرة تعود إلى أن فقد الأمان هنا والذي حاولنا الحصول عليه بطرق شتى من متع الدنيا الفانية يعود لفقد تلك العقيدة ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّـهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّـهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾**﴾**[1] .**

إن الإنسان منا بحاجة للأمان والاطمئنان النفسي وهو يسير في هذه الدنيا ويتعرض لعقباتها، لذلك نجد الواحد منا كيف أنه يبحث عن ذلك الأمان في كل مكان في هذه الحياة، في مال، أو جاه، أو سلطان، أو يجري خلف شركات التأمين حتى لا يقع يومًا ما في مصيبة تجر عليه الويلات من حيث لا يحتسب، ويظن بذلك أنه في مأمن من مصيبات الحياة، ولنعلم أن ذلك هراء.

هراء لأنه ليس هنالك أمان بعيدًا عن الله، ولن نسير في هذه الدنيا بعيدًا عن توفيقه.

عن رعايته وحفظه.

إن المال أو الجاه أو السلطان أو غيرها من أمور لن تكون لنا حافظة، ولن تحقق لنا الأمان الذي نطلبه بعيدًا عن الله، لأنها ببساطة مسيرة بأمره سبحانه.

[1] سورة الأنعام آية 125 .

إنه الله سبحانه يوم أن كنا معه فكان معنا.

حتى لا نقع:

كثيرا ما تأخذنا الأفكار ونحن نريد أن نتعرف على الله إلى تأويل صفاته والتأمل فيها.

كيف هو الله؟

ما هي صفاته؟

كيف وجهه؟

كيف هو العرش؟

كيف؟ وكيف؟ وكيف؟

أسئلة يطرحها الشيطان في مخيلتنا ويبدأ بتقليبها لنا.

يبدأ بتقليبها، وقد يأخذنا ذلك لإنكار بعض الصفات.

قد يأخذنا ذلك أحيانًا حتى لتعطيل تلك الصفات، وأن الله سبحانه وتعالى لا يسمع لأن البشر تسمع.

أو لتمثيلها كالبشر، لأي شيء، وعند ذلك وكل ذلك لنتذكر قول المولى عز وجل:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]

نعم لله يدان ووجه.

[1] سورة الشورى آية 11 .

نعم، الله يسمع و يرى.

نعم، ربنا فوق العرش، لكن كل ذلك لا نعرف كيفيته .

نؤمن بالصفا ونترك كيفيتها لله، ولنتذكر دائمَا أنها ليست كالبشر، أو كأي كائن كان.

لنعلم أنها صفات نعرفها و نتعلمها حتى نعرف من هو ربنا فنهابه سبحانه.

نعرف صفاته فنزداد إيمانًا به.

إنها صفات تليق بجلاله وعظمته سبحانه.

إنها صفات كمال كلما ازددنا لها معرفة كلما كان ذلك عونا لنا ونحن نسير.

نحصل على الزاد من التربية الصالحة:

من الأشياء المعينة للحصول على هذا الزاد هي التربية الصالحة.

هي التنشئة التي ينشأ عليها الواحد منا فتكون له وقودًا، وزادًا معينا في الخطوات.

في الخطوات الأولى والتي ترسم شخصية الإنسان منا، ولنعد إلى يوسف عليه السلام عندما جاء لوالده يخبره عن قصة رؤياه، وكيف أن يعقوب عليه السلام عندما بين لابنه أن يكتم رؤياه عن إخوته أخبره بأن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾[1].

[1] سورة يوسف آية 5 .

لم يكتف يعقوب عليه السلام هنا بتوجيه دنيوي لحادثة قد تسيء علاقته بإخوته فحسب.. لا، بل أراد عليه السلام أن يؤسس في ابنه أيضًا عقيدة يسير بها في هذه الحياة: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[1]

عقيدة زرعها يعقوب عليه السلام في ابنه الصغير حتى يربيه عليها، وتكون له منهجًا ودرعًا يحميه من الفتن.

ذكره بعداوة الشيطان،

علمه فضل الله عز وجل، واصطفائه له ولآبائه.

علمه أن من صفات الله العلم والحكمة.

إن التنشئة الصحيحة لأبنائنا وزراعة المنهج القويم والآداب الشرعية فيهم لهي الخطوة الأولى والبذرة التي نغرسها في نفوسهم لأن يكونوا صالحين.

لأن يعرفوا دينهم فيسيرون به لا بأهوائهم.

لأن ينفعوا أنفسهم ويقدموا لأمتهم.

لأن يرتقوا ويكون ذلك لهم زادًا يسير بهم في هذه الحياة.

إن كثير من الآباء والأمهات يظن أن مسألة تربية الأبناء تكمن في توفير المأكل والمشرب والملبس لهم.

تكمن في مظاهر وكماليات.

تكمن في التراخي والتساهل المبالغ فيه بحجة أنهم صغار.

[1] سورة يوسف آية 5- 6 .

نعم، لابد من توفير المأكل والمشرب، بل هو من حق الأبناء على الآباء، لكن لنعلم أن تربية الأبناء تكمن في إعدادهم وزراعة ما يعينهم في هذه الحياة، والسير بهم نحو الآخرة.

في بناء شخصياتهم، وتجنيبهم ما يهدمها أو يؤثر في بنائها، لذلك هي قضية ليست سهلة لأنها أمانة في أعناق الوالدين ينبغي الحرص عليها واستشعارها، خاصة في هذا الزمن؛ والذي تداخلت فيه أمور كثيرة أصبحت تؤثر على تربية الأبناء.

لنعلم أنه ومع التقدم الكبير في الوسائل التكنولوجيا المتوفرة في المنازل أخذت تربية الأبناء منحنًا خطيرًا، ذلك أن الوسائل التكنولوجية المتوفرة في المنزل أصبحت تشترك مع الوالدين في التربية وتكوين شخصية الأبناء.

إن التلفاز والانترنت أسلحة خطيرة في المنزل قد تضر بالأبناء عندما يتركون لهت دون متابعة، وذلك أن الأبناء يقبلون عليها برضى الوالدين، بحجة إشغال أوقاتهم، وعدم خروجهم خارج المنزل، ولا يعلمون أن ذلك سيكون له الدور الأكبر في تكوين شخصياتهم، وبناء ثقافاتهم، ويظهر ذلك جليًا لدى الكثير من أبناء هذا الجيل نتيجة انجذابهم نحو هذه الثقافة وبالتالي ضياع هويتهم.

وخطرها هنا ليس على الأبناء فقط من هذا الجانب، بل حتى من جانب الوالدين الذين أصبحا يستنبطان من هذه الثقافة في متابعة بعض البرامج في التلفاز أو الانترنت، والتي تتحدث عن أساليب تربوية تحت مسمى التربية الحديثة، وبالتالي ضياع الهوية لكثير من أبنائنا بسبب حرص الوالدين على استخدام هذه الأساليب دون النظر لملاءمتها من ناحية الشرع أو البيئة والظروف المحيطة بالأبناء.

لنعلم أن الفلسفية الزائدة والمصطلحات المصطنعة لن تؤتي أكلها، ولن تنجح طالما أنها بعيدة عن واقعية الحياة وطبيعة الأبناء.

طالما أنها مستمدة من ثقافة معلبة ترى المستقبل بنظرة مادية دنيوية لا دينية.

لنعلم أن التربية المثالية الحقيقية، والتنشئة الصحيحة للأبناء هي التي تكون وفق منهج المصطفى ﷺ ،و لن يكون غيرها مجديًا لأبنائنا لأن الطبيعة البشرية عند تكوينها لن يجدي معها سوى ما وُجد من أجلها، لذلك لابد من العودة للمنهج النبوي، ذلك الذي كان له أثر كبير وإيجابي في إعداد أجيال مضت، ولنعلم أن المنهج النبوي هو منهج تربوي عصري قائم عبر السنين، وعلى ذلك ليس صحيحًا من أنه منهج قد عفى عليه الزمن.

وعندما يأتي الحديث عن تربية الأبناء وإعدادهم فإننا هنا لابد وأن نشير إلى الإناث وما يفعله البعض من ظلم لهن بحجة أنهن إناث، وهنا لنذكر أنه لابد من العدل معهن، واتقاء الله فيهن، والعدل كما قلنا بإتباع منهج المصطفى ﷺ، ذلك المنهج الذي كرم الأنثى، وأعلى شأنها، وأمر بالاعتناء بها وإعدادها الإعداد الحسن، وأن ما تعانيه بعض الفتيات من سوء معاملة الأهل لهن، والتفريق بينهن وبين الأولاد ليس من الإسلام في شيء، بل هو أمر قام على عادات قبلية، ونظريات حاربها الإسلام، ذلك الذي اهتم بها ووضعها في مكانها المناسب، يقول المصطفى ﷺ : (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا و هو، وضم أصابعه)[1].

إن الفتيات أمانة في أعناق أسرهن، والوالدان مسؤولان أمام الله عن حسن إعدادهن وتربيتهن، وأن هذا واجب مفروض عليهما، ولن تغني العادات والتقاليد الجاهلية في التقليل من هذا الأمر، أو حتى مسمى التربية الحديثة في انحلالهن وإعطائهن حقوقًا هي في الواقع قتل لهن.

إن تربية الأبناء رسالة وخدمة نقدمها ليس لأبنائنا فحسب لكن لأنفسنا، بتقربنا أولا لله بهذه التربية، وتكون لنا صدقة جارية بصالحات أبنائنا بعد مماتنا، وكذلك بخدمة أمتنا، لأن التربية الصحيحة هنا لن يجني ثمرتها ذلك الابن فقط وإنما سيصلح بها مجتمعا بأكمله.

إن صلاح المجتمعات تبدأ بالتنشئة الصحيحة للأفراد من داخل المنزل، ذلك لأن المنزل هو العالم الأول الذي ينشأ فيه الفرد قبل أن يختلط بالعالم الخارجي،

[1] رواه مسلم .

وبالتأكيد أن ما سيتعلمه من داخل هذا البيت سيلقي بظلاله عندما يخرج لذلك العالم، وسنتعرف هنا في فصول قادمة كما ذكرنا كيف أن ثمرة تلك الكلمات من ذلك الأب لابنه ألقت بظلالها على نبي الله يوسف، وكيف أن يوسف عليه السلام نفع الله به أمة بأكملها بعد ذلك.

وعندما تبدأ التنشئة الصحيحة في المنزل فإنها تصقل في ميادين الحياة، من مسجد أو مدرسة، وحينئذ تكون بحاجة لمربين فضلاء ملمين بصقلها و توجيهها التوجيه الصحيح وفق منهج نبينا محمد ﷺ.

إن استشعار المربين والمربيات بأهمية الاهتمام بالناشئة في المسجد أو المدرسة، واكتشاف قدراتهم، وصقل مواهبهم ومواصلة رسالة الأبوين في المنزل، هو استشعار بأهمية بناء مستقبل الأمة وعلوها ولنعلم جيدًا أن مستقبل الأمة لن يكون دون صقل هؤلاء الأبناء، والإعداد الحسن لهم، وعلى ذلك فليحرص المربين على حسن صناعة وإعداد هذا الجيل.

إن هذا الجيل لن يحسن إعداده إلا بالصناعة التي صنع بها نبينا محمد ﷺ الجيل الأول من شباب و بنات الصحابة رضوان الله عليهم.

إن نبينا عليه الصلاة والسلام أعد جيلاً من الصحابة عارفًا بعقيدته، متبعًا لمنهجه عليه أفضل الصلاة والسلم .

جيلًا قويًا عقديًا يوم أن قال عليه الصلاة والسلام للغلام: (و أعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)[1].

جيلاً قويا جسديًا يوم أن تصارع الصبيان، وتساهم الغلمان بالسهام، أمام نبينا عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

[1] رواه الترمذي .

جيلًا قويًا في التضحية، مستشعرًا دوره يوم أن كانت تخرج أسماء بنت أبي بكر بالطعام إلى النبي ﷺ وأبيها، لتساهم في الهجرة، وشقت نطاقها نصفين فلقبت بذات النطاقين.

جيلًا قويًا مهاريًا يوم أن كان عليه السلام يستكشف قدراتهم، ويحمسهم لتطويرها.

إن ما يفعله بعض المربين اليوم من إهمال لهذه الجوانب بحجة جمع الشباب بما يجذبهم، وعدم جدولة ذلك مع البرامج المعدة لهم، لهو من الخطأ الكبير، ذلك أن الشباب بحاجة لبناء هذه العقيدة الإيمانية والشخصية القوية، لتكون وقودًا إيمانيًا نافعًا لهم، ومثبتًا لهم أمام الفتن المتربصة بهم، لأن الإنسان إذا لم يجد عقيدة يسير بها فإنه سيسير بعاطفته، وسيقيس بها ما يواجه من أحداث، وبالتالي قد يزل، و سنرى كيف أن يوسف عليه السلام عندما زرع فيه والده هذه العقيدة والعلم النافع كانت له نورًا يسير به.

إن الشباب في الغالب يمتلكون للكثير من القدرات، ومتى ما وجدوا التوجيه الصحيح فإنهم سيرتقون بأنفسهم وبأمتهم، وعلى ذلك فالمسؤولين على هذه الأماكن محاسبين أمام الله تعالى فيهم، وبالتالي هم مطالبين باختيار من لهم دراية بالتربية والإعداد، وليست القضية في تغطيه هذه الأماكن بمن اتفق، لأن الاختيار الجيد لهؤلاء المربين سيلقي بظلاله على الأبناء، وسيخرج لنا جيلًا نافعًا لأمته.

إن التنشئة الصالحة للأبناء من الوالدين في المنزل، و صقلها بطريقة صحيحة تربوية من المربين في المساجد والمدارس، لهما الوسيلة المثلى للتنشئة الصالحة للأفراد، والزاد المعين للسير بهم في هذه الحياة، وبناء الأمة.

معرفة حقيقة الطريق تزيد التقوى:

مهما كان الطريق جميلًا حتما ليس هو الهدف.

مهما كان الطريق مفروشًا بالورود لنتذكر أن ما هو إلا طريق نسير فيه لنصل لما هو أجمل، وهكذا علم يوسف عليه السلام حقيقة الطريق، فزاد تعلقًا بربه عز وجل، وهكذا ينبغي لنا أن نكون.

كثيرًا ما نغتر بما حولنا ونحن سائرون في هذه الحياة.

ونحن ماضون فيها.

تجذبنا هذه الحياة، وننسى أنها ما هي إلا مرحلة.

ما هي إلا طريق نسير فيه للوصول لهدف ما جئنا لهذا الطريق إلا من أجل تحقيقه.

إن هذه الحياة بما فيها من مغريات وملهيات، وبما فيها من زينة، تجذبنا حتما للتعلق بها ونسيان كل شيء، من أجل الراحة فيها، والاستمتاع بما فيها من إغراءات.

بما فيها من إغراءات دنيوية قابلها هوى ورغبة منا بحب دنيا عاجلة، فانجذبنا إليها ونسينا حقيقتها.

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه زار أبا الدرداء رضي الله عنه عندما كان واليًا على دمشق، فدخل عليه، فدفع الباب، فإذا ليس فيه مغلاق، فدخل في بيت مظلم فجعل يلمسه حتى وقع عليه، فجس وسادة فإذا هي برذعة، وجس دثاره فإذا كساء رقيق.

قال عمر: ألم أوسع عليك؟ ألم أفعل بك؟

فقال له أبو الدرداء: أتذكر حديثا حدثناه رسول الله ﷺ؟

قال: أي حديث؟

قال: (ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب)[1].

قال: نعم.

قال: فماذا فعلنا بعده يا عمر؟

فمازالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا.

لنتأمل هذه القصة أحبتي.

لنتأمل كيف أنهما عندما عرفا حقيقة الدنيا جعلًا خطواتهما نحو ما هو أهم.

نحو الآخرة.

تزود أبو الدرداء رضي الله عنه بزاد الراكب لأنه علم أن الحياة ما هي إلا رحلة.

ما هي إلا طريق يعبر فيها بفرسه ليصل نحو الآخرة، فتزود بذلك الزاد رضي الله عنه، وهكذا كان صحابة رسول الله رضوان الله عليهم.

إنها الدنيا يوم أن صغرت في أعينهم.

إنها الدنيا يوم أن أعرض عنها يوسف عليه السلام وهي تفتح له ذراعيها، فعرف حقيقتها، فتركها واستمر في المسير نحو ربه.

إنها الدنيا التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّـهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[2]

---

[1] ذكره الألباني في صحيح الترغيب .

[2] سورة الحديد آية 20 .

لنعلم انه كلما زادت معرفتنا بحقيقة الطريق وهوانه كلما كان حرصنا على تجاوزه أكبر، وأننا عندما نعرف حقيقته المعرفة التامة، فإننا بذلك لن ننظر لما حوله من مغريات، لأننا سنعلم حينها أن ما هي إلا سراب لا يلبث أن يذهب عند اقترابنا منه.

الزاد يصنع الأمل:

عندما عرف يوسف عليه السلام ربه عز وجل.

عندما عرف حقيقة الدنيا.

عندما عرف حقيقة الطريق، وأنه هنا من أجل هناك.

عندما عرف ذلك بالتنشئة الصالحة التي نشأه عليها والده، كان كل ذلك له أملًا.

أملًا يسير به، ويتذكره في كل خطواته، وما أجمل الأمل أن يتعلق بالله عز وجل، لذلك ثبت في ما واجهه عليه السلام من صعوبات لأنه تزود بزاد فكان له وقودًا.

وقودًا يغذيه صبرًا، ويعينه لما هو قادم.

لم يضره أنه بيع بثمن بخس، فليست الدنيا بكل ما فيها غالية.

لم يضره أن تغريه امرأة العزيز، لأن إغراء الآخرة أعظم.

لم يضره السجن مادام أن قلبه طليق مع ربه.

لم يضره الجاه والمنصب مادام أنه جاعل الله أمامه.

لم يضره ذلك وغير ذلك مادام أنه تزود بالتقوى فسار يخطو نحو السماء شامخا.

إن الأمل بالله يقودنا إلى الصبر ونحن نواجه عقبات هذا الطريق ليشعرنا أن الفرج سيأتي وإن تأخر، وأن الله سبحانه لن ينسانا مادام أنه مولانا.

إن الله سبحانه أراد ليوسف عليه السلام التمكين في الأرض وهو صبي صغير ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[1]**، وحققها له وهو رجل كبير** ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾[2] **و بين إرادة الله ليوسف وتحقيقها كان هذا الطريق الذي جعله الله سببًا للتمكين، فسار عليه يوسف متزودًا بالأمل الذي بني على معرفة الله، والتربية الصالحة، ليكون له زادا يسير به نحو التمكين في الدنيا والنعيم في الآخرة.**

إنه الأمل عندما يصنع الصبر فيتحقق الفرج بإذن الله.

[1] سورة يوسف آية 21 .

[2] سورة يوسف آية 56 .

لا بأس بالمكوث قليلا تحت ظل الشجرة

ووصل يوسف عليه السلام إلى قصر العزيز بعد أن نفذ إخوته تخطيطهم ورموه في البئر.

وصل بعد أن بيع في مصر، وعاش المعاناة وهو صبي صغير ما لبث بعدها أن يشعر بالراحة بين جنبات ذلك القصر.

وصل وأحس بالنعيم والأمان الذي افتقده و هو يسير.

وصل ولكن ذلك ما كان سببًا لأن ينجرف خلف ذلك النعيم، وينسى ربه عز وجل.

ما كان سببًا للإقبال على ذلك بحجة أنه تعب في طريقه، وآن له أن يرتاح.

ما كان سببًا لذلك وغير ذلك، بل عاش في ذلك القصر ذاكرًا لربه حاملًا في قلبه زادًا تزود به للطريق، فكان له وقودًا وهو يخطو، ووقودًا له وهو يرتاح.

عندما يخطو الإنسان منا خطواته في طريقه نحو السماء فإنه قد يتعب من المسير.

قد يتعب من هذا الطريق وهو يواجه عقباته، وهنا لابد له من الراحة.

لا بد له من الترويح ليعود للمواصلة، فيبحث له عن ظل شجر يستظل بها.

من ظل يستريح إليه ليغفو ثم يقوم من جديد.

كم نحن بحاجة لتلك اللحظات التي نجدد فيها لنعاود الانطلاق، ولا بأس من ذلك، يقول حنظلة رضي الله عنه: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار، قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة، قال: فخرجت فلقيت أبا بكر، فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر، فلقينا رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله ! نافق حنظلة، فقال: (مه)، فحدثته بالحديث، فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل، فقال: (يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت ما تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق) **وفي رواية**: كنا عند النبي ﷺ فذكرنا الجنة والنار[1].

نعم ساعة وساعة، لا بد منها ليتجدد النشاط.

ساعة وساعة في يوم فيه أربعة وعشرون ساعة، ولو تأملنا لحالنا اليوم لوجدنا أننا جعلنا يومنا ساعة لله، وثلاثة وعشرون ساعة للدنيا وزينتها بحجة الترويح.

نعم نحن بحاجة للتنفيس لكن لا يكون ذلك على حساب عبادتنا لله عز وجل.

على حساب خطواتنا في هذا الطريق.

على حساب واجبات، وعندما يحدثنا أحد عن سبب تقصيرنا نقول له ساعة وساعة، ساعة وساعة، حتى أسأنا استخدام هذا الحديث.

لنسترح قليلًا، ولنعلم أن التنفيس لم يكن أمرًا لذاته، بل من أجل أن نقوى أنفسنا به على عبادة الله عز وجل.

من أجل أن ينشطنا في الطريق، وما أجمل أن يكون من ترويحنا لأنفسنا أجرًا لنا من عند ربنا سبحانه.

نعم، لنجعل من ترويحنا عبادة.

لنرجو الله ونحن نتنزه أو ننام أو نستمتع بأمر مباح أن يكون ذلك مقويًا لنا على العبادة ونستطيع أن نحقق ذلك بالنية.

---

[1] رواه مسلم .

نعم بالنية نستطيع أن نقلب العادة والتنفيس إلى عبادة لكن لنتنبه لأمر هام؛ وهو ليس أن معنى التنفيس والترفيه عن النفس أن يكون ذلك حجة لأن نغضب المولى عز وجل.

حجة لأن نتجاوز حدوده.

لأن نقتطع جزءًا من حياتنا لغير الله، فحياتنا كلها لله.

إن ما يشاهد الآن من أن هنالك من يستغل أوقات الراحة والإجازات لمعصية الله والسهر خلف القنوات، أو السفر ومشاهدة المنكرات لهو من اللهو المحرم والاستغلال السيئ لمفهوم الراحة والتنفيس.

لنعلم ونحن نخطو أننا نستطيع أن نأخذ إجازة من أعمالنا، وإجازة من مدارسنا، لكننا أبدًا لا نستطيع أن نأخذ إجازة من ديننا.

انتبه أمامك منحدر

لن يكون الطريق نحو السماء مفروشًا بالورود.

هنالك مصائب وابتلاءات.

هنالك شهوات، وهنالك شبهات.

هنالك من يحاول أن يضلك، وهنالك من يحاول أن يغريك.

هنالك من يحاول أن يثنيك على ما أنت عليه.

كما قلنا لن يكون الطريق مفروشًا بالورود لأن النهاية غالية.

لأن الثمرة جنات عدن.

هكذا هو الطريق، وهكذا هي الدنيا، وهذا ما وجده يوسف عليه السلام وهو يواصل رحلته.

وهو يواصل رحلته فرحًا بوجوده في قصر العزيز، ظنًا منه أنه ارتاح بعد عناء فإذا بالهموم تحيط به من جديد.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ**﴾**[1]**.**

[1] سورة يوسف آية 23 .

هكذا هي الحياة بكل ما فيها نسير، عليها لنلتقي بحق وباطل.

بباطل يريد أن يعكر على الإنسان في طريقه، ويصده في خطواته ليصل إلى يصبوا إليه، ومشكلات تعترضه تجعله يبحث عن مسارات أخرى دون الوقوع فيها وبالتالي تغير من حالته في عدم التعامل مع هذه الحياة بشكل إيجابي، وهذا ما واجهه يوسف عليه السلام.

موقف عصيب كاد أن يوقع العبد الصالح والشاب الطيب المحسن في المهالك، فهو أمام إغراء زوجة العزيز، وأمام إحسان زوجها له، وقبل هذا وذاك هو أمام مرضاة ربه الذي خلقه وأيده، فكيف له أن يعصيه.

يتعرض هذا الشاب لهذه المحنة، وصعوبة المحنة والابتلاء هنا ليست في الإغراء فحسب!

إن الصعوبة هنا تكمن أيضًا في العوامل المحيطة بذلك الإغراء من أمان وجاه وعلو دنيوي يتحصل عليه نتيجة وقوعه هنا في هذا الذنب، بل إنه قد يعاقب إن لم يفعل، وذلك عكس ما يجده الإنسان في الغالب نتيجة ارتكابه لخطأ كهذا.

وجد عليه السلام نفسه أمام هذه المحنة في وقت بدأ يحس فيه بالطمأنينة في هذا القصر بعد عناء عاشه في صغره بين تسلط إخوته وغربته، إنها حالة يصعب وصفها لشاب بدأ يلتقط أنفاسه لبناء شخصيته وتحقيق أحلامه.

لتجنب المنحدرات أحفظ الله يحفظك:

ورغم كل هذه الإغراءات التي تهيأت لنبي الله عليه السلام ليسقط في الرذيلة إلا أن الله يمن عليه بالثبات ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّـهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾**[1].**

[1] سورة يوسف آية 23- 24 .

ثباتا لأن الله هنا مع عبده المخلص الصالح ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾**﴾**[1] .

كان معه ليس فقط في حفظه من الوقوع في الذنب؛ بل كان الله معه أيضًا في أن حفظ له سمعته؛ وإن حاولت زوجة العزيز بتشويهها ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ **﴾**[2] **حفظ المولى عز و جل عبده و أعلى شأنه فمهما حاولت زوجة العزيز من أن تسيء لسمعته فالله وحده هو من يملك قلوب العباد والأمر إليه سبحانه من قبل و من بعد ولذلك ما إن دخل السجن نجد أن من في السجن يناديه بأفضل الصفات ﴿** إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾**﴾**[3] .

إنه حفظ الله للعبد، ومصداق ذلك حديث المصطفى ﷺ: (من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس و من أسخط الله برضى الناس وكله الله إلى الناس)[4] .

إن حفظ الله ليوسف عليه السلام لم يأت إلا لأن يوسف عليه السلام حفظ ربه في رخائه فثبته الله في شدته، ولم يكن تثبيت الله ليوسف عليه السلام هنا فقط، إنما في كل أمر يواجهه في حياته، فكان ربه معه دائمًا، ومصداق ذلك الحديث القدسي الذي يرويه نبينا ﷺ عن ربه: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.. الحديث)[5]، **إنه ثبات خلده التاريخ، وليعلم من يعلم أنه ثبات لم تصنعه لحظة بقدر ما كان ثمرة إخلاص سنوات، وعلى ذلك فلنحفظ الله سبحانه في حياتنا ونحن نمضي في نحو السماء.**

---

[1] سورة يوسف آية 24 .

[2] سورة يوسف آية 32 .

[3] سورة يوسف آية 36 .

[4] صححه الألباني في السلسلة الصحيحة .

[5] رواه البخاري .

لنحفظ الله في نعمه، من سمع فلا نسمع إلا حقًا، ومن البصر فلا ننظر لما حرم، وفي اللسان فلا نقول إلا حقًا، وعلى ذلك في كل ما نملك، لأن الله سبحانه ما أنعم علينا بهذه النعم إلا بحقها، ولن يكون حقها بعيداً عن مرضاته سبحانه.

إن الله سبحانه و تعالى عندما يأمرنا بذكره وطاعته ليس لأنه بحاجة إلينا.. لا، فالله سبحانه وتعالى غني عن عباده ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّـهِ وَاللَّـهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾**﴾[1] بل لأن ذلك فيه توفيق وحفظ لنا في الدنيا والآخرة.**

حفظ لنا في الدنيا من أن نزل في معصية تكون سببًا لهلاكنا في الآخرة، وبالتالي الوقوع في النار.

إنها عقيدة يوسف نحو ربه يوم أن عرف كيف يحفظ ربه فيما يقدر عليه ليحفظه ربه فيما لا يقدر عليه، وعلى ذلك لنحفظ الله في قليل ما نملك ليحفظنا سبحانه في كل ما يملك.

لا هوى بعيدًا عن الدين:

في صراعنا النفسي ونحن نرى المحرمات من حولنا يسهل الوصول إليها، ونحاول الاقتراب منها لكننا نتذكر ربنا فنرجع، ليعود لنا الفكر فيلعب بالعقل ليعود بحيلة أخرى، لكن هذه المرة بطريقة جديدة علها تنفع مع هذه النفس المصرة على ترك المعصية لربها فتعصيه وتستمتع بالمحرم.

هكذا صراع نفسي قد نثبت أو قد نقع فيه بحيلة أو بأخرى..

صراع نفسي يحضر فيه الهوى ويتمكن من الفكر ليستنجد بالعقل الذي يضعف فيذكر بعفو الله عز وجل و لا بأس بارتكاب الذنب الآن ثم العودة إلى الله بعد ذلك

[1] سورة فاطر آية 15 .

طالما أنه عفو متجاوز ويغيب حقائق أخرى ليتناسب الحال فيغيب الخوف من الله وتحضر المعصية بكل زينتها ليقع الذنب.

صراع نعيشه دائمًا كلما تجلت المعصية أمامنا.

صراع عاشه إخوة يوسف يوم أن خططوا للتخلص من أخيهم ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾**﴾**[1].

صراع عاشوه فيما بينهم ليتجنبوا الوقوع في المنحدر، ويحققوا ما يريدون.

عاشوه فيما بينهم، فحضر هواهم ليزين لهم، ويحسم لهم الأمر.

نقتل يوسف أو نرمي به ونحقق ما نريد، ثم بعد ذلك نتوب ونستغفر، ونعود صالحين، هكذا وبكل بساطة حسمها لهم الهوى.

ظنوا أنهم بذلك سينهون القضية كما يريدون، وكيف لا تنتهي كذلك وهم قد أجمعوا عقولهم وخبراتهم ليخرجوا بهذه النتيجة الرائعة في نظرهم، والتي توافق ما يريدوا أن يحققوه.

ظنوا فأخطئوا في حق أخيهم يوم أن رموه في البئر غير مستشعرين بحق الأخوة، وأخطأوا في حق أبيهم يوم أن كذبوا عليه غير مستشعرين بحقوق الوالدين، وأخطأوا في حق أنفسهم يوم أن عرضوها لسخط الله غير مستشعرين بما ينتظرهم في اليوم الآخر، وقبل كل ذلك أخطأوا في حق ربهم عز وجل غير مستشعرين عظمته سبحانه.

إنه الهوى عندما يعمي البصيرة فيسير العقل وفق ما يريد بعيدًا عن فطرته السليمة، فيذهب الاستشعار ويقع الذنب، ولذلك سارت خطتهم كما رسموها لكنهم لم يستطيعوا أن يسيروها للنهاية التي أرادوها.

[1] سورة يوسف آية 9 .

لم يتوبوا ويعودوا إلى ربهم لأن الله لا يُخدع، ولذلك ما ملكوا تسيير الأحداث ووضع نهاية للقصة كما يريدون وكما خططوا، وعلى ذلك لنعلم أننا إذا أردنا أن نتجنب المنحدرات ونحن نسير في هذا الطريق ينبغي لنا أن نتمسك بديننا لا بهوانا.

نتمسك بديننا لأن الدين فيه مراد الله سبحانه، والهوى مراد بشري ليس له قيمة أمام مراد الله الذي يعلم ما يفيد وما هو أنفع.

إننا عندما نترك الرجوع لديننا لمجرد لذة عابرة أو بحجة أننا نملك عقول متنورة بأفكار العصر الجديد كما ندعي فإننا بذلك نتبع هوانا لا عقولنا، لأننا لو فكرنا بعقولنا حق التفكير لعلمنا أنه لن يكون هنالك نجاة لنا بعيدًا عن دين تعلمناه.

إن إخوة يوسف يوم أن وجهوا عقولهم باتجاه أهوائهم والتي ما كانت ترى إلا التخلص من يوسف قالوا ما قالوا فوقعوا في المعصية، وعندما فكر يوسف عليه السلام بعقله الفطري وبدينه أمام إغراء زوجة عزيز مصر نجى وسلم .

لماذا ننكسر؟

﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾[1]

أحيانًا قد تسقطنا الابتلاءات.

تجذبنا الحياة وزينتها.

تذهب بنا بعيدًا وتجعلنا نبتعد عن المسار الذي كنا فيه.

عن الطريق نحو السماء.

نذبل ونبدأ بالبعد عن الله، ونغير من حياتنا.

[1] سورة العنكبوت آية 1- 2 .

نغير من منهجنا ومن القيم التي تعلمناها من هذا الدين.

تعلمناها ولكننا اغتررنا بما حولنا وضعفنا أمام ما واجهنا من إغراءات من متع هذه الحياة الدنيا بحجة أننا نريد أن نعيش.

أو أننا نمل ونضيق من هذه الدنيا، ولماذا لا يستجاب لنا وكأننا موعودون هنا بالجزاء، ونريد أن نجني ثمرة التزامنا وتمسكنا بديننا هنا.

نتغير ونتغير نجهل بأن الأمر ليس كذلك، وأن هذه الدنيا إنما هي دار سفر لا مقر.

إنما هي طريق نسير فيه للوصول إلى المكان الحقيقي الذي نستقر فيه.

نتناسى كل ذلك ونحن نسير فيها.

لنتأمل وليتفكر كل واحد منا في الأسباب الحقيقية التي جعلته يبتعد عن ربه جل وعلا ويتراجع للوراء، ولنبتعد عن اختلاق الأعذار الواهية من أن ذلك أمر الله.

نعم هو أمر الله سبحانه، لكن هل تفكرنا لماذا هو أمر الله؟

لماذا الله سبحانه وتعالى تركنا نتراجع؟

هل خذلنا المولى ونحن المتمسكون بشرعه؟

لنسأل أنفسنا ولنتأمل قول المولى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[1].

حاشاه سبحانه.

[1] سورة الأعراف آية 175- 176 .

حاشاه أن يتركنا ونحن نسعى لمرضاته.

حاشاه لأن ما أصابنا نعم بيد الله ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لكن لأن ذلك كان بسبب أنفسنا ﴿وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ .

لنعلم جيدًا أن الله لن يخذل من هو متمسك بشرعه ومنهجه.

لن يتركنا الله، نعم قد يبتلينا، نعم قد يختبرنا، لكنه سبحانه عندما يجد عبده متمسكًا بمنهجه، مطيعًا لأوامره فإن الله سيكون له خير حافظ.

حافظًا له من مغريات هذه الحياة.

حافظًا له من كرباتها.

لنعلم أن الله سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين، وأنه سبحانه لا يتخلى عن عباده في لحظة ضعفهم مادام أنهم صدقوا معه يومًا، وعلى ذلك لنصلح من أنفسنا ولنعد إلى الطريق القويم.

لنعلم أن أنبياء الله تعرضوا لابتلاءات فما ازدادوا إلا ثباتًا وقوةً وإيمانًا، و كلك أتباعهم، وأن هذه الأحداث والابتلاءات صنعت منهم رجالًا صنعوا بها التاريخ، وهانحن مع يوسف عليه السلام رأينا وسنرى كيف أن هذه الأحداث والابتلاءات صنعت منه حكيمًا ووزيرًا قائمًا بين الناس.

إن هذه الخطوات التي نسير بها نحو السماء إننا نحن من يصنعها بأمر الله، و كما جاء في الآية أننا عندما نخلد إلى الأرض فإن الله سيذلنا، ولو اجتهدنا لوصلنا بها إلى رحمة الله.

إن الإنسان عدو نفسه، والله لا يظلم أحدًا في الدنيا أو الآخرة، يقول المصطفى ﷺ: قال لي جبريل: (واعمل ما شئت فإنك ملاقيه)[1]، **وعلى ذلك لنقيس المستوى الإيماني لدينا، ولنجتهد في رفعه ونحن نسير في هذه الحياة بالعودة إلى الله**

[1] صححه الألباني في صحيح الجامع .

والتأمل في أحوالنا وإصلاح النفس، ولن يكون لنا ذلك إلا بالتزود بذلك الزاد والذي تكلمنا عنه في فصول سابقة.

إن من الأسباب التي تكون أيضًا سببًا في انكسار الكثيرين منا تعود إلى الرسم الخاطئ لمقياس الإيمان بالنسبة للإنسان المؤمن.

ومقياس الإيمان هنا قد يخطأ فهمها عند البعض؛ ذلك أن هنالك من يرى بأن مقياس الإيمان للإنسان المسلم ثابت وغير قابل للهبوط، وعلى ذلك يريد الإنسان المؤمن وفق مثالية رسمت له، ولا يريده أن يميل عنها، بل هو مؤد لتعاليم هذا الدين حرفيًا غير قابل للخطأ، ولو أخطأ فإنه بذلك لن يعود كما كان إلا بالعودة لنقطة البداية من جديد.

في مقابل ذلك من يرى عكس ذلك، إذ أنه هنا ليس لديه مقياس إيماني وعلى ذلك فالمؤمن مطالب بعبادات معينة، وبعد ذلك يفعل ما يشاء مادام أنه يصلي ومحافظ على أركان الإسلام الخمسة.

ولو تأملنا للمقياسين السابقين والتي يستخدمها البعض منا لقياس الإنسان المؤمن لوجدنا أنها قد هوت بأصحابها، لأنها جهلت حقيقة المؤمن وحقيقة طبيعة هذا الدين.

إن المؤمن إنسان يسير في هذه الحياة بإنسانيته الطبيعية المجبولة على النقص، ولديه إيمان يتلبس فيه ويكون في قلبه، يزيد وينقص، ويُترجم ذلك في تصرفاته، وإن نقص هذا الإيمان فإنه يكون بحاجة إلى مؤثرات داخلية قلبية حصل عليها من زاد تزود به، ومؤثرات خارجية نتيجة رفقة تسير معه أو مؤثرات أخرى تحركه ليعود إلى قوته، و بالتالي يعود بصاحبه إلى الطريق.

وعلى ذلك ليحرص المؤمن على تقوية ذلك القلب ليعينه على الطريق، ويثبته عند منحدراته، ولو لم يحرص على زراعة ذلك المؤثر الداخلي لضل الطريق وعندها قد لا يعود .

لنعلم جيدا أننا كلما تزودنا بذلك الزاد، وصدقنا مع الله عز وجل، وأخلصنا له، فإنه سبحانه لن يخذلنا.

لنعلم ذلك حتى لا نضحي بآخرتنا من أجل دنيا فانية.

لنترك الماضي و نحيا من جديد :

قد تكون لنا خطوات سابقة أوقعتنا في منحدرات؛ وتسببت لنا في تشويه صورتنا أمام من حولنا.

تسببت في سوء ظن نجده كلما أردنا أن نفيق لنبدأ من جديد.

تسببت في تأخرنا؛ والناس من حولنا يتسابقون.

تسببت في ذلك فلم نستطيع أن نمضي ونخطو مع من هم حولنا، وهنا لنتنبه أن ذلك إنما هو من الشيطان.

من الشيطان الذي يشعرنا ونحن نخطئ بحق أنفسنا وبحق الله عز وجل بأن ما ارتكبناه ليس بالأمر الهين الذي نستطيع أن نتوب منه أبدًا، خاصة ونحن نجد من حولنا مقبلين إلى ربهم جل وعلا، ونتمنى أن نكون مثلهم، ونظن بالتالي أن ذلك أصبح بالأمر الصعب علينا.

بالأمر الصعب لأننا تجاوزنا كل حدود اللا معقول.

لا، ليس صعبًا أن نتوب ونرجع.

ليس صعبًا أن نعود لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّـهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّـهُ﴾[1]، **ويقول أيضًا:** ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[2] .

---

[1] سورة آل عمران آية 135 .

[2] سورة الزمر آية 53 .

لنعلم أن الله سبحانه غفور رحيم، وأنه سبحانه أشد فرحًا بتوبة العبد مهما بلغ منه الأمر ما بلغ، مادام أنه عرف ربه وأراد الرجوع إليه، و لنتأمل للنبي صلى الله عليه و سلم و هو يصف في مثال رائع كيف أن الله سبحانه يفرح بعودة عبده العاصي يوم أن قال لأصحابه رضوان الله عليهم: (كيف تقولون بفرح رجل قد انفلتت منه راحلته تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب وعليها له طعام و شراب فطلبها حتى شق عليه، ثم مرت بجذل شجرة فتعلق زمامها فوجدها متعلقة به.، قلنا: شديدًا يا رسول الله، فقال ﷺ: أما والله! لله أشد فرحًا بتوبة عبده من الرجل براحلته)[1]، **إنه وصف بلغ مبلغه من الروعة ما يجعل الواحد منا ينسى ما قدم في سالف أيامه عائدًا إلى ربه، غير آبه بما حوله من محبطات.**

لنعد إلى الله ونترك كل تلك المحبطات، ولو عجزنا أن نخطو هنا لنخطو في مكان آخر.

لنذهب إلى بيئة أخرى نعيش فيها من جديد، بعيدًا عن ما يذكرنا بالخطأ الماضي ولو لم نستطع تغيير البيئة لنطلب العون ممن نثق به، ولنعلم أننا نستطيع ذلك متى ما كسرنا حاجز اليأس و القنوط من رحمة الله عز وجل وبدأنا بصناعة الخطوات من جديد بعقل ومنطق.

إنها الفرصة الوحيدة لنا في هذه الدنيا للعودة إلى الله، والتي ستذهب معها كل الفرص حال موتنا، وعلى ذلك لنستغلها جيدًا .

كيف نواجه مشكلة ما؟

لم يصمت يوسف عليه السلام عندما اتهمته زوجة العزيز بهذا الاتهام القوي، بل تحدث ببراءته، وثبت بما ناسب الموقف، وعلم حينها أنه أمام مشكلة عظيمة وهي ليست في الوقوع في فاحشة فقط كما ذكرنا؛ إنما أيضًا في خيانة من أحسن إليه يوما.

[1] رواه مسلم .

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾[1].

إن الاعتراف بوجود المشكلة هي أولى الخطوات لحلها، ولذلك فإن أكبر ما نواجهه عند وقوعنا في مشكلة ما هي المكابرة في الاعتراف بها، أو في سوء تقدير لها.

مكابرة في تهوينها، وأن كل شيء على ما يرام.

كل شيء على ما يرام، نقول ذلك لنجد أنفسنا قد زللنا.

إن ما نقرأه من أن الحياة ليس فيها مشكلات، وأن الإنسان لابد له أن يواجه الحياة بسهولة، ومن أن المسلم لابد له أن يكون مطمئن البال طوال حياته ولا يصاب بهم أو بغم لهو من الكلام المبالغ فيه.

لنعلم إن المسلم ليس كائنا غريبًا، إنه إنسان.

إنسان له من المشاعر، وبالتالي يتأثر بما يصيبه من أحداث إيجابية أو سلبية في حياته.

و لنتأمل.. لماذا قال الله لنا في محكم التنزيل: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [2].

أليست المصيبة مشكلة؟

بل هي أشد من المشكلة؟

وبعد أن تنتهي تصبح درسًا منا من يستفيد منه، ومنا من لا يستفيد.

ثم لنبحر سويًا في سيرة النبي ﷺ، ألم يعلمنا دعاء الهم والحزن؟

---

[1] سورة يوسف آية 26 .

[2] سورة البقرة آية 156 .

لماذا؟

إلا لأن هنالك مشكلة جلبت لنا همًا.

ولماذا يقول لنا عليه الصلاة والسلام: (من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة)[1] ؟

أليست الكربة مشكلة؟

أم هي أيضًا ليست كذلك؟

المشكلة ليست في وجود المشكلة، المشكلة أن نقول لا مشكلة، لذلك لابد لنا من الإيمان بوجود المشكلات، ولو آمنا بوجودها فإننا سنسير في أولى خطوات حلها، وعندما نبدأ بوضع الحلول لها ولكل عقبة تواجهنا في الطريق ونحن سائرون في هذه الحياة فإننا لا بد لنا من أن نكون منطقيين.

منطقيين في قراءة الأحداث.

ومنطقيين في وضع الحلول.

إن استعجالنا في إيجاد حلول لمشكلة ما تواجهنا في هذه الحياة، أو البحث عنها دون دراية بنتائجها المترتبة وأبعاد استخدامها قد يؤدي لنتائج سلبية، لأننا لم نتمحص تلك الأبعاد ومدى ملاءمتها لنا.

أيضًا لا يقودنا الحرص على إيجاد حل مناسب إلى التباطؤ في حلها والخروج منها، مما يؤدي لتفاقمها وعدم السيطرة عليها.

لنتبصر في حلولنا، ولنبحث عن الحلول السليمة المنطقية، لا الحلول التي يعدها بعض الفلاسفة ويبالغون في المثالية عند وضعها، ويتناسون طبيعة البشر واختلاف نفسياتهم.

---

[1] رواه البخاري .

لنعلم جيدًا أن الحلول المعلبة لا تجدي مع الجميع، وأن طبيعة الحل تعود لطبيعة الإنسان وما يحيط به من أحداث.

ولنتذكر ونحن نضع هذه الحلول أن تكون موافقة للشرع، إذ انه ليس هنالك حلًا لمشكلة ما بعيدًا عن الشرع، ولو كان فإنه سيكون حلًا هشًا لا يلبث أن يهوي بصاحبه.

وهنا لنتنبه لأمر مهم وهو أنه أحيانًا قد نريد الخروج من مشكلة ما؛ وعندها نأخذ بقاعدة ارتكاب أخف الضررين، وهي قاعدة فقهية معروفة، لكن بعضنا قد يخطئ استخدامها فيقع في مشكلات أخرى، أو معاصي يضر بها من معه بحجة أنها أخف الضررين، أو يجهل كل ذلك مما يوقعه في مشكلات أخرى، ولو تأملنا في يوسف عليه السلام لوجدنا انه أخذ بهذه القاعدة ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[1]، فهو إما أن يعيش في القصر ويقع في المعصية، أو يعيش مسجونًا مطيعًا لربه، فالمعصية هنا ضرر عظيم لا يجوز للإنسان أن يأخذ بها كحل لأن الله لا تستحل محارمه من أجل الخروج من مشكلة، ولذلك أخذ عليه السلام بحل السجن، فهو أخف الضررين، ولم يأخذ بمحرم لأنه ضرر مؤدي لمعصية الله عز وجل.**

ومختصر كل ذلك أن الاعتراف بالمشكلة، ثم القراءة المنطقية لها، وموافقة الشرع، هي الخطوات الصحيحة لحلها.

لو فهمنا ذلك سنضع أيدينا على الجرح، وسنبدأ بإذن الله في مواجه المشكلات، وبالتالي في الخروج منها.

[1] سورة يوسف آية 33 .

لا ننسى أنها دنيا:

أحيانًا وفي أثناء بحثنا عن حلول لما نحن فيه، وسبل لتجاوز عقبة ما اعترضتنا ونحن نسير في هذه الحياة لا نجد لها مخرجًا.

نحاول ونحاول لكن لا نستطيع.

هنا لا يأخذنا اليأس.

لا يأخذنا لأن نظن أن كل شيء انتهى، وأننا لا نستطيع النهوض مرة أخرى، وعندها لننظر للمشكلات وننظر إلى هذه الدنيا.

لننظر ونحن نعيش هذه المشكلات أننا مطالبون بمواجهتها ولسنا مطالبون بحلها لأن ذلك بيد رب العالمين، وعند ذلك لنفهم أن هذه حياة دنيا.

لنفهم أن الله سبحانه وتعالى قدرها لنا وأعطى كل إنسان منا بقدر.

لنفهم أننا في دار ابتلاء خلقنا الله سبحانه وتعالى وجعلها لنا طريقًا لدار أبدية.

لننظر ونتأمل أننا هنا لأجل هناك.

أن ما حولنا زائل، وما هنالك باق.

أننا هنا راحلون، وأننا هنالك مستقرون.

لنعلم أن ما عجزنا عن حله والخروج منه هنا سيخرجنا منه ربنا يوم القيامة.

نعم، قد نغضب، وقد يضيق بنا الحال كلما رأينا المشكلة تضيق علينا، وهذه ردة فعل طبيعية تنتج عنا لما نحن فيه، لكن لنتأمل كل ذلك ونصبر ونسير في الأرض.

لنسير وننظر.

ولو سرنا لرأينا من هم أشد منا كربة.

لرأينا من ينسوننا ما نحن فيه أمام ما هم فيه.

ولعلمنا أننا في نعمة.

نعم، في نعمة، فنحن في خير كثير بالنسبة لكثيرين ممن يعيشون حولنا في هذا العالم.

نعم في نعمة، فيكفينا أنه سبحانه ابتلانا بنقص في الدنيا ولم يبتلينا في ديننا، بل حفظه لنا حتى لا نخسر الآخرة، وهذه هي محبة الله الحقيقية لنا، لأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعط الآخرة إلا من أحب، ولنتذكر تلك المرأة التي جاءت للنبي ﷺ من أجل أن تشفى من مرضها، وعندما خيرها بين الدنيا والآخرة اختارت أن تبقى على مرضها من أجل نعيم الآخرة يقول المحدث: قال لي ابن عباس ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت بلى، قال هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت، ولكِ الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيكِ) فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادعوا الله أن لا أتكشف فدعا لها[1].

لنتأمل ذلك ولنرى كيف أنها رضي الله عنها ضحت بكل ذلك ولم تضحي بدينها، وسألت الرسول عليه الصلاة والسلام بأن لا تتكشف.

لنتأمل ذلك ولنتذكر أن التفضيل في الدنيا ليس معناه دائمًا محبة الله للشخص، وأنه مهما وجدنا من نعيم لأناس قد قصروا مع ربهم لا نفهم من ذلك أن الله فضلهم علينا ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿ ١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠ ﴾انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾[2].

---

[1] رواه البخاري .

[2] سورة الإسراء آية 18-21 .

ثق دومًا أنك لو تأملت ذلك لهانت عليك الدنيا.

ثق دومًا أنك لو نظرت إلى السماء وتأملت حقيقة الدنيا لكان كل ذلك عونًا لك فيما يواجهك فيها من عقبات.

إنها الدنيا الفانية والآخرة خير وأبقى.

وأنت تخطو تذكر دعوة المسافر

عندما علم يوسف عليه السلام أن المشكلات تحيط به من كل جانب، وأنهم يحاولون أذيته من كل صوب.

عندما علم عليه السلام أنه لا سبيل له من مواجهتهم، وأن الأرض قد ضاقت عليه.

عندما لم يجد العدل والإنصاف من عزيز مصر في قضيته مع زوجة العزيز.
عندما وجد كل ذلك وغير ذلك دعا ربه، لأنه يعلم أنه ليس له إلا الله.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [1]، **دعا ربه، لأنه هو من بيده تسيير الأمور، وأن ما دون ذلك أسباب.**

عندما نشعر أن المشكلات تحيط بنا.

أن كل شيء ليس على ما يرام، وأننا قد لا نستطيع المسير والمواصلة، وكيف نواصل ونحن نجد ما يعكر علينا.

ما يعكر علينا من مشكلات دنيوية، وأخرى في ديننا.

كلما نرى ذلك ونحن نسير في هذه الدنيا عندها لننظر إلى السماء.

[1] سورة يوسف آية 33 .

لنرفع يدينا وندعو الله.

لنرجوه أن يخفف عنا ويهون علينا.

من أن ييسر لنا ويكون لنا نعم العون والنصير.

لنرفعهما للسماء، لننظر أن مصيرنا يمضي إلى هناك لا إلى هنا.

نرفع أيدينا للسماء طمعًا في نتائج من عند رب العالمين.

نرجوه ونتوسل إليه.

نتوسل إليه لأننا نعلم أنه بيده كل شيء، وأنه لن تستقيم أمورنا دونه سبحانه لأنه وحده من يقول للشيء كن فيكون.

إنه الله ومن لنا غيره سبحانه.

من لنا سواه فكلهم ليسوا شيئا أمام قدرته.

و هنا لننتبه لأمر مهم جدًا، وهو ألا نلجأ لأحد مهما كان في دعائنا.

لا ندعو رجلًا صالحًا عند قبره، ولا نبيًا مرسلًا، لأنهما عبيد لله مثلنا لا يملكون ضرًا ولا نفعًا.

إن لمن المحزن ما نشاهده اليوم من أناس يزورن القبور، أو يتمسحون بالصالحين رجاء تحصيل منفعة، ونجد ذلك قد انتشر في كثير من بلاد المسلمين بحجة التقرب إلى الله عز وجل، ونيل مرضاته، وما علموا أن الله عز وجل قريب منهم يجيبهم ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قريبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[1].**

إنهم بذلك يسلكون طريقًا مغلقًا لا يوصل إلى شيء، بل إنه يهوي بالسائر فيه، فيهلك بين جنباته.

---

[1] سورة البقرة آية 186 .

لنعلم أن الله سبحانه هو وحده القادر على تفريج الكروب وهو مولانا لا منجي سواه، فنعم المولى و نعم النصير.

لا نقلب الدعاء:

أحيانا عندما تضيق علينا الدنيا ونحن نسير ونخطو نحو السماء قد نرفع أيدينا.

نرفعهما لا لأن ندعو بفرج! بل نرفعهما لندعو على أنفسنا بالموت والزوال.

يالله، هل هو اليأس من رحمته أم ماذا؟

ماذا عساه أن يكون؟

هل بهذا سينتهي ما نحن فيه؟

هل نحن بذلك قد قضينا على ما نعاني منه؟

إن نبينا ﷺ حذرنا من ذلك يوم أن قال: (لا تدعوا على أنفسكم)[1].

لو عدنا ليوسف عليه السلام وتأملنا في دعائه وهو يدعو ربه عندما ضاقت عليه الأمور في القصر و زادوا في أذيته هل دعا على نفسه بالموت ؟ بالتأكيد لا .

هل دعا بهلاك، أيضا لا.

إن يوسف عليه السلام عندما اشتد عليه البلاء دعا ربه بما يبعده عن هذا البلاء، فالسجن هنا كان خيرًا له من قصر يُبتلى فيه.

السجن هنا سيريحه من فتن تتربص به، وعندها يستطيع أن يحفظ دينه ويعيش مطمئنًا لذلك، أحب السجن ولم يفكر بأن يدعو الله أن يميته فيريحه من دنياه.

[1] رواه أبو داود .

إنه نبي الله والعبد الصالح الذي علم أن ما فيه ابتلاء، لينظر أيشكر أم يكفر.

إنه نبي الله الذي عرف حقيقة الدنيا وأنها دار شقاء.

أيضًا ونحن ندعو الله لا نتجاوز في الدعاء و ندعو بما لا يناسب الحال أو نسيء الأدب مع الله عز وجل .

نسيء الأدب فنتعجل الإجابة وكأن الله مطالب بأن يستجيب لنا مباشرة، ونرغب في انتهاء ما نحن فيه، وأن كل شيء لا بد له أن يعود كما كان.

لا، لابد من الصبر بعد الدعاء، ومن الانتظار والترقب، ومواصلة العمل.

قد يؤخر الله.

قد نموت ولم نر فرج الله كما مات بعض صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله تعالى عليهم لم يشاهدوا ثمرة ما تعبوا عانوا من أجله.

لم يشاهدوا عزة الإسلام.

لم يشاهدوا فتح مكة لأن الله سبحانه وتعالى جعل كل شيء لحكمة، والله سبحانه سيجازيهم على إحسانهم وصبرهم، وما جعل ذلك إلا تمهيدًا للنصر.

ولذلك لنحسن الظن بربنا ونحن نسير.

إن حسن ظن العبد بربه ليس بالأمر الهين كما يخيل إلينا.

ليست القضية هي توقع المحمود من رب العالمين فقط وبدون مقدمات.. لا.

إن حسن ظننا بربنا هو شعور بأنه معنا، وأنه سبحانه أعلم بما هو أنفع لنا، وسيتحقق لنا هذا الشعور طالما أننا تزودنا بذلك الزاد الذي تحدثنا عنه في فصول سابقة.

ذلك الزاد الذي سيقودنا لأن نصبر ونتأمل.

نصبر ونعلم أن ما فقدناه اليوم قد نجده غدًا.

نعلم أن الله سبحانه لن يضيعنا طالما أحسنا ظننا به سبحانه، ونبينا ﷺ يعلمنا يوم يقول عن ربه في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء)[1].

نعلم أن الله لن يتركنا طالما لجأنا إليه.

أيضا لا يأخذنا أمر الدعاء إلى ترك الأسباب.

إلى عدم العمل، أو إلى أن نخطو بلا تبصر.. لا، بل يجب علينا مع الدعاء وحسن الظن إلى أن نعمل ونجتهد لتحصيل الأسباب المعينة على قضاء الحاجة، وتحصيل الأسباب يكون بالطريقة الشرعية الصحيحة الموافقة .

سنرى ونحن نخطو مع نبي الله يوسف عليه السلام كيف أنه عليه السلام بعد أن أصبح وزيرًا عمل بأسباب سهلت عليه أن يأخذ أخاه عنده من إخوته، وبالتالي كشف شخصيته لأخوته فيما بعد ليلتم شمله بأهله، ولا شك أنه عليه السلام كان يدعوا ربه بأن يحقق له ذلك ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ [2]**﴾**.

عمل بسبب، وما استغل منصبه لتحقيق ما يريد.

عمل بسبب، ولم يرد بأن يخالط ذلك السبب ظلمًا ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّـهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾**[3]﴾** .

لنفهم كل ذلك جيدًا ونحن ندعوه سبحانه.

---

[1] صححه الألباني في صحيح الجامع .

[2] سورة يوسف آية 70 .

[3] سورة يوسف آية 79 .

وأنت تخطو أثر حولك البذور

و دخل يوسف عليه السلام السجن.

ذلك السجن الذي وضع فيه ظلمًا دون أن يكون هنالك ما يستحق دخوله فيه.

دخل عليه السلام السجن كما أرادوا له ذلك، لكنهم ما استطاعوا أن يسجنوه روحه.

ما استطاعوا لأنهم قدروا على سجن جسده لكنهم ما قدروا على أن يسجنوا تلك الروح.

سجنوه في الأرض فسما بروحه إلى السماء.

سما بروحه إلى حيث تكون فعلق قلبه بالله.

سما بطموح أراد تحقيقه، وما أجمل الطموح أن يكون مع الله.

أراد عليه السلام أن يكون شيئًا لهذا الدين فلم يخذله ما هو فيه عن مهمته في الدعوة، ولم يستسلم للواقع، ولم تقتله الأحداث.

أراد أن ينشر دين الله، وليس هنالك أفضل من العمل مع الله.

من الجميل جدًا أن لا تسيرنا الأحداث كما تريد، لنحرص على أن نسيرها نحن كما نريد، وأن نستغلها بالقدر الذي نكون فيه قد حققنا منها ما نريد وما نتطلع فيها لتحقيقه ولو بقدر أقل مما رسمنا، المهم ألا تسيرنا هي كما تشاء.

من الطبيعي جدًا أن يتأثر الإنسان بما يحيط به من أحداث، وهذا هو الأصل فيه، لأنه بشر، ولأنه حساس بطبعه يتأثر بما حوله في الغالب، وهراء أن نجبر الإنسان رغمًا عنه بأن يتغلب على واقعه ويصنع منه حدثًا جديدًا، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وتختلف طبيعة الإنسان من شخص لآخر، لكن هنا يبقى الطموح والهمة الذين يحركان الإنسان ليحقق ما يتطلع إليه بتوفيق الله.

لنعود إلى يوسف عليه السلام ونتعلم كيف أنه صنع من مأساته حدثًا جديدًا للإبداع.

للعمل والإنتاجية.

لتبليغ دين الله، ولبناء أمة، وسنجد كيف أن الساقي ذلك الذي دعاه يوسف عليه السلام في سجنه دل فيما بعد على تفسير رؤيا الملك وساهم في تجنيب البلاد أزمتها الاقتصادية.

لنعلم جيدًا أننا ونحن نسير في هذه الحياة نحو الآخرة أننا بحاجة لأن ننثر البذور من حولنا.

بحاجة لأن نحيي هذه الأرض، وأن نستشعر أهمية ذلك في نفوسنا، نصلحها، ونعدها لتكون كذلك.

إننا كمسلمين لابد لنا من أن نستشعر أهمية تبليغ هذا الدين والنصح لمن حولنا كل حسب استطاعته ومقدرته ومكانته.

إنه السير على خطى الأنبياء وإحياء الأمة.

إنها الخيرية التي ميزنا الله بها بين الأمم يوم أن قال في كتابه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾[1]، ولتحقيق هذه الخيرية، حتى نستطيع أن ننثر البذور لا بد لنا من أن نجيد هذا النثر.**

إن يوسف عليه السلام وبما وهبه الله وأعده ليكون نبيًا امتلك الصفات التي ينبغي توافرها في الداعية إلى الله.

امتلك العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى، ونجد كيف أنه بين للسجينين من هو الله، وأن هذا الدين دين واحد جاء به هو والنبيين من قبله ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّـهِ مِن شَيْءٍ**﴾[2] .**

امتلك عليه السلام الذكاء وحسن استغلال الأحداث، ويتبين لنا ذلك من خلال استغلال الفرصة التي سنحت له عندما جاءه السجينان ليفسر لهما الرؤيا ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾**﴾[3] ،ومن خلال الحوار العقلي معهما ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّـهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾**﴾[4] .**

امتلك حسن الإطلاع بما حوله من أحداث، وبواقع الناس، وكيف أن الداعي إلى الله لابد له من أن يعرف واقع من حوله، ويتبين ذلك من قوله لهما ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾**﴾[5] .**

---

[1] سورة آل عمران آية 110 .

[2] سورة يوسف آية 38 .

[3] سورة يوسف آية 36 .

[4] سورة يوسف آية 39.

[5] سورة يوسف آية 40 .

امتلك التواضع، وحسن المعشر عليه السلام، ونجد ذلك في مخاطبته للسجينين بلغة بسيطة ليس فيها علو وهو يقول لهما: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾[1].

امتلك الصبر، واليقين بالله، فهو لم ينظر إلى وضعه كسجين، أو أنه قد مل من دعوته للسجينين.

امتلك الثقة بالنفس، فلم يبالي بنظرة من حوله له على أنه سجين.

امتلك الاستشعار بأهمية الدور في بناء الأمة فاستغل الحدث باستشعاره.

كان كذلك عليه السلام فنجح في دعوته.

نجح لأنه علم أهمية تأدية الرسالة، وتبليغ أمر ربه.

علم أهمية تبليغ هذا الدين في حياتهما، وأنهما لو أسلما فإن معنى ذلك نجاتهما من عذاب أليم، وهذا الأمر بالذات ينبغي أن يشعر به كل داعية إلى الله، فليست القضية هي في تبليغ الدعوة فحسب، بل إنها أيضًا في استشعار جانب الرحمة بالناس ونحن ندعوهم.

ليست القضية أن ندعو الناس من أجل أن نبلغهم فقط، وتزداد حصيلة حسناتنا، ونرفع الحرج عن أنفسنا.

نعم نحن نبتغي الأجر من عند الله عز وجل، والله سبحانه وتعالى كريم ذو فضل، ولن يظلمنا سبحانه، وسيجازينا من فضله، لكن لا تكون الدعوة من أجلنا نحن، بمعنى أننا نفعل ذلك للبلاغ وتحصيل الأجر فقط.. لا، إنها شفقة بمن هم حولنا.

بخوفنا عليهم، ورغبتنا بأن ينجيهم الله من عذاب يوم أليم، أن يشع الإيمان من قلوبهم ليشع في قلوب أجيال قادمة من ذرياتهم.

لنستشعر هذا الجانب جيدًا ونحن ندعو.

---

[1] سورة يوسف آية 41 .

إننا بما ذكرنا أعلاه من صفات نجد أنفسنا أمام شخصية رزينة صنعت ثقلها بما واجهته من أحداث، وقبل كل ذلك بحفظ الله سبحانه وتعالى له وتوفيقه، وإعداده.

ذلكم كان أنبياء الله.

وذلك أيضًا كان نبينا محمدا ﷺ الذي حقق كل ذلك فبلغ الإسلام أقاصي الدنيا، وعلى ذلك فلنكن.

نعم، لنكن كذلك، ولنصنع أنفسنا ونعدها للبناء والنجاح، ولتقديم شيء للأمة ونحن نخطو في هذه الحياة لنسير نحو السماء.

لنحاول أن نمتلك هذه الصفات لتكون لنا عونا.

ليكن هدفنا ونحن نريد الوصول إلى السماء، أن ننثر البذور من حولنا.

أن نوصل معنا من نجده في طريقنا.

إن لكل منا هدف يطمح للوصول إليه في هذه الحياة، وما أجمل الهدف أن يرتبط بالله سبحانه وتعالى.

ما أجمل أن تجمل المكان طالما أنت تسير.

لنحرص على أن يكون الطريق جميلًا لغيرنا.

لكل من يسير معنا في هذه الحياة.

لنساعدهم، ونكون لهم عونًا في أمور دنياهم، وأيضًا في خطاهم وهم سائرون باتجاه السماء (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[1] .

لنجتهد على أن نكون معهم مكان ما نشعر أننا سنقدم، ونزيل لهم العقبات.

أن نساهم معهم في إزالة الصخور وردم الحفريات من حولهم.

---

[1] رواه مسلم .

لنزرع مكانها الأشجار، ولنضع الإشارات، الإرشادات التي تدلهم إلى الوصول.

إلى عدم التوهان وسلوك الطريق الخطأ.

إلى الوصول إلى السماء، وإرضاء الرحمن، فما وجودنا هنا في هذا الطريق إلا من أجل ذلك.

لنحب من حولنا، فبالحب سنفعل كل ذلك وغير ذلك (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[1]

إنها وظيفة الأنبياء.

إنها الخطوات التي ساروا فيها ليصل إلينا هذا الدين، ولنعلم أن وصوله إلينا لم يكن بالأمر السهل.

نعم، لم يكن بالأمر السهل أبدًا، ولنعلم ذلك جيدًا.

لنعلم ونحن ننثر البذور من حولنا أننا قد نواجه عوائق تختلف باختلاف الأحوال، من تضييق، أو استهزاء، أو كلمات جارحة، إلى غير ذلك.

إن هذا الدين دين حق، ولا حق غيره، وجرت سنة الله في الأرض ألا يستقيم حق وباطل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ**﴾[2]، ولن يرضى عنك أهل الباطل والأهواء طالما أنك تسير وتصلح الطريق ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾[3] ، وفي آية أخرى ﴿**كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾**﴾[4].**

---

[1] رواه البخاري .

[2] سورة البقرة آية 251 .

[3] سورة البقرة آية 120 .

[4] سورة الذاريات آية 52 .

طالما أنك تسعى لإحياء القلوب وزراعة الإيمان فيها.

طالما أنك تفعل ما لا يوافق أهوائهم و شهواتهم.

طالما أنك تريد أن تساهم في إخراجهم مما هم فيه، وعلى ذلك لنحتسب ما نواجهه من عقبات.

لنحتسب كل ذلك لأن هذا الدين لا بد له من ثمن.

لابد له من ثمن لأن العمل مع الله صفقة مبايعة بين مشتري هو الله، وبين بائع هو نحن، و لابد من حضور الثمن هنا لإتمام هذه الصفقة.

إن الله سبحانه و تعالى يتولى أوليائه ممن ساروا في الطريق يبلغون هذا الدين بالقدر الذي يستطيعون به أن يبلغوا، ووعدهم بالأجر العظيم والدرجات الرفيعة في الجنة، ومدحهم في كتابه يوم أن قال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّـهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾**﴾**[1] .

وعندما ننثر هذه البذور لا ننثرها فقط لندعو لدين الله من غير المسلمين فقط، بل أيضا لنحرص على نثرها عند من هم معنا في ديننا يشهدون بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولكنهم يجهلون الكثير من أحكام هذا الدين، وهنا لنسعى لتوضيح شرائع هذا الدين لهم.

لبيان أوامره لهم ليتمسكوا بها، ونواهيه ليجتنبوها.

بإشعارهم بعظمة انتمائهم له، وترجمتهم لذلك في حياتهم، وأنهم عندما يزرعون الإيمان في نفوسهم فإن الله سيزرع لهم الأمان في حياتهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَـٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾**﴾**[2].

---

[1] سورة فصلت آية 33 .

[2] سورة الأنعام آية 82 .

إن ما نسمعه أو نقرأه من حرب شنعاء يشنها البعض على الدعاة أو الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر لهي محاولات أرادوا من خلالها تضليل الناس واستمرار باطلهم.

لهي محاولة من محاولات إطفاء نور هذا الدين والله متم نوره.

إن أصحاب الباطل يجدون في الحق هلاك لباطلهم، وإن أصحاب الأهواء يجدون في الحق هلاك لأهوائهم، لذلك هم يشركون ما يريدون مع الله، والله سبحانه وتعالى لا يرضى بأن يشرك في حكمه شيئًا لا باطل، ولا هوى ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾**[1]**.**

وحتى يستقيم معنى إن الحكم إلا لله لابد لنا من أن نوجه حياتنا له سبحانه.

لمراده سبحانه.

و مراد الله سبحانه وتعالى قضى أن نسلم أنفسنا له وحده ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾**﴾** [2]**.**

إننا كمسلمين مطالبين بأن نقيم شعائر الله في أنفسنا، وأن نجتهد لإحيائها في أمتنا.

إن إحياء الأمة والسعي لإقامة شعائر الله في هذه الأرض هو الهدف الأول للدعاة قبل تحقيق أي هدف آخر، وكم هو رائع أن نحرص كمسلمين بأن نلتزم بأوامر الله.

بصبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة.

لنحي تعاليم الله فيما بيننا، ولنسعى لنشر كلمة الله في الأرض لتكون هي العليا فوق كل راية، شاء من شاء وأبى من أبى، ولنعلم أن ذلك ليس فيه تضاد مع

---

[1] سورة يوسف آية 40 .

[2] سورة الأنعام آية 162 .

قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1] بل هو موافق لها، ذلك لأننا مطالبين بأن يعيش جميع الناس، مسلمهم وكافرهم، تحت حكم الله سبحانه، ثم بعد ذلك لهم حرية الدخول في هذا الدين.

إننا عندما نقيم حكم الله في الأرض إننا بذلك نسهل للناس حرية الدخول فيه دون منغصات تحول بينهم وبين الإسلام.

لنعلم أن ما وصلنا إليه كمسلمين من ضعف ووهن ما هو إلا نتيجة تخلينا عن نشر دين الله وإحياء تعاليمه ليس لغير المسلمين؛ فحسب بل حتى بيننا كمسلمين.

لا تدفن نفسك:

لنسأل أنفسنا كيف يخدم الإنسان أمته؟

ما هي تأملاته للارتقاء بها؟

قد يقول أحدنا بأن صلاحه هو ما سيقدمه لأمته، وهذا كلام جميل، لكنه لن يصلح الأمة ولن يرتقي بها، وليس معنى ذلك عدم نفعه؛ فصلاح الإنسان لنفسه يرجع على أهله وذريته بالخير ويكفينا قول المولى عز وجل ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[2]، فالآية قال عنها المفسرون أنه الجد السابع، حيث أن الله سبحانه وتعالى حفظ هذين الابنين بأن كان لهما كنز فحفظ الله لهما هذا الكنز بصلاح جدهم، وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يصلي من النافلة ويقرأ هذه الآية لأبنائه ويقول لهم أسال الله أن يحفظكم بصلاتي، لكن لو نظرنا هنا فصلاح الإنسان سيفيد أهل بيته وهذا أمر رائع، بل هو خير، لكنه لن يصلح بذلك أمته، وعلى ذلك نقول لابد للإنسان منا أن يصلح نفسه وأن يبدأ بها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

[1] سورة البقرة آية 256 .

[2] سورة الكهف آية 82 .

يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، ليستفيد من صلاحه هو ثم أهله، وليتحرك بصلاحه ليصلح غيره، فصلاح الأمة يبدأ بي وبك، لكنه حتمًا لن تصلح الأمة دام أني أصلحت نفسي ثم توقفت.. لا، ثم ما يدريني أنني وصلت لدرجة الصلاح حتى يكون صلاحي هو ما أقدمه لأمتي؟

إننا نسير في هذه الحياة ونجتهد في الصالحات وإتباع أوامر الله عز وجل بقدر ما نستطيع، ونحسن ظننا بربنا أن يتقبل منا ذلك، ويحسن جزاءنا، فليس لنا غير ذلك، وبجانب ذلك نمضي ونصلح، وننثر البذور، ليثمر ذلك عن مجتمع فاضل راقي.

لنعلم أننا عندما نسعى للإصلاح والارتقاء بالأمة ليس ذلك أننا نصلح هذا الجيل فقط.. لا، إننا بذلك نساهم في صناعة أجيال تسموا بمستقبل الأمة.

نسمو بصناعة جيل ليصنع لنا أجيالًا أخرى وتستمر عزة هذا الدين، ولن يتحقق ذلك إلا باستشعارنا بأهمية هذا الأمر.

إن صلاح النفس الحقيقي لن يؤتي ثمرته طالما أنه لم يترجم على أرض الواقع، ولم يتحرك على هذه الأرض

إن الله سبحانه وتعالى ختم بنبينا محمد ﷺ الأنبياء والمرسلين؛ لكنه جعل في الأرض مجددين يجددون هذا الدين ويحيونه بين الناس.

أيضا أحيانًا ونحن نخطو قد يخيل إلينا أننا أفرادًا، وما نحن إلا صفر في هذا العالم، ولن نستطيع أن نصنع شيئًا أو أن نقدم للأمة، وهذه محبطات في طريق الإصلاح، ولنعلم أنه سيخيل إلينا ذلك أكثر من ذلك طالما أننا نتخيل وبأيدينا أداة قياس الحجم، وأداة قياس الحجم هذه لنقيس بها أحجامنا مقارنة بحجم أمة بأكملها، وعندها نتوقف و تتوقف معنا أمة انتظرتنا طويلًا علنا أن نبنيها.

إن ما نعيشه من تخيلات من أننا لا نستطيع أن نقدم لأمتنا ولو شيئًا يسيرًا لهي السلاسل التي تقيدنا من الانطلاق والبناء، و لنعلم جيدًا أن ما هو مطلوب لبناء

[1] سورة الرعد آية 11 .

أمتنا ليس بالشيء المخيل في عقولنا، بل بما نملك ونستطيع كل حسب مقدرته، ومجاله، ولنعلم أننا سنقدم ونقدم مادام أننا نقيس الواقع بالمنطق وبما نملك لنحقق، فليس شرطًا أن نحقق أمرًا عظيمًا في أعيننا، لكن يكفينا أن نحقق لأمتنا ما نستطيع، وإن كانت نتيجة هذه الاستطاعة هينة في نظرنا لكنها بالتأكيد عظيمة عند ربنا جل وعلى عند حضور النية.

إن الأم عندما تصلح أبنائها فإنها تقدم للأمة.

إن الأب عندما يصلح أسرته فهو يقدم للأمة.

إن المعلم عندما يصلح طلابه فهو يقدم للأمة.

إن الطالب عندما يجد في دراسته ليكون شيئًا لأمته فهو يقدم للأمة، وهكذا، وعلى ذلك لا نجعل ما سبق يدفننا، ولا يجعلنا لا نقدم لامتنا.

لا نجعلها محبطات في طريقنا ونحن نسير باتجاه السماء.

أيضا من الأسباب التي تقودنا لليأس وعدم تقديم شيء للأمة هو أن ننظر لحال أمتنا من أنها أمة تنتظر بطلها المفقود، فنترك خدمتها، ونخوض في الدنيا لننتظر المهدي كي يحرر أقصاها، و لم نحرص يومًا على أن نجتهد حتى لا يؤتى الإسلام من قبلنا، و نسينا أننا عندما نصلح أنفسنا فسيحصل لنا العلو بوعد الله ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾[1].

أيضا لا نجعل خوفنا يقيدنا من تقديم شيء.

خوف يعترضنا أو يصيبنا في طريق الدعوة، يكون محبط لنا، ويحول بيننا وبين نثر البذور حولنا، ولنعلم جيدًا أن ما قد نواجهه أمر طبيعي كما ذكرنا سابقًا، لأن طريق الدعوة لا يفرش بالورود، وأن أنبياء الله وصحابة نبينا ﷺ عانوا كثيرًا وتعرضوا لأذى حتى وصل إلينا هذا الدين.

إنها الضريبة التي يجب أن تُدفع لأن الثمن غال.

[1] سورة إبراهيم آية 14 .

إنها ضريبة ليعلم الصادق من الكاذب.

إنها ضريبة لأن الجزاء غال عند رب العالمين.

أيضا لنحرص ونحن نسير في طريق الدعوة لأن نتقي الله.

نتقي الله فيمن ندعوه، ونتقي الله فيما ندعو به.

نتقي الله فيمن ندعوه باستخدام الأسلوب الصحيح المحبب، فنحن سفراء لديننا، ونتقي الله فيما ندعو به بأن ندعو على منهج المصطفى ﷺ.

وهنا قد يقول الواحد منا كيف أصنع نفسي لأكون؟

تحدثنا أننا نستطيع أن نقدم للأمة بقدر استطاعتنا لا بقدر ما نرى أنها تريد، ولو فهمنا هذا الأمر فإنه سيكون الخطوة التي ستقودنا لصناعة النفس هنا، وسيذهب عنا الشعور باليأس .

إن صناعة النفس وإعدادها الإعداد الصحيح سيتحقق لنا طالما أننا اكتشفناها وسيرناها وفق منهج الله سبحانه.

لنتأمل في قصة يوسف عليه السلام كما ذكرنا سابقًا ولنرى كيف أنه صنع من نفسه بتوفيق الله سبحانه وتعالى له.

لنتأمل كيف سار في هذه الحياة و تزود بزاد كان له وقودًا.. (الزاد).

لنتأمل كيف لجأ إلى ربه فكان له نورًا.. (اللجوء إلى الله).

كيف استفاد من كلمات والده عليه السلام فكانت له معينًا.. (الاستفادة من الخبرات).

كيف استفاد من الأحداث فكانت له دروسًا.. (التعلم).

كيف كان طموحه حتى و هو في أحنك الظروف فحقق وفق ما يملك.. (الطموح و الثقة) .

لنتأمل سجنه وصبره في بناء نفسه وبناء أمته.. (الصبر).

لنتأمل ذلك بواقعية بعيدة عن الفلسفية.. (المنطقية).

لنتأمل ذلك وغير ذلك مما سنقرؤه في هذه الخطوات.

لنتأمل كل ذلك، عندها سنصنع من أنفسنا، وعندها سنكون.

اعتز بخطواتك

لو تأملنا في أسلوب يوسف عليه السلام وهو يدعو السجينين إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، ويعرفهما بربهما جل وعلا، لوجدنا كيف أنه عليه السلام كان معتزًا بانتسابه لهذا الدين ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**﴾[1].**

معتزًا بأنه متبع ملة أنبياء الله الذين سبقوه، وأنها ملة آبائه الذين كانوا كذلك.

إن الشعور بالعزة وبأننا ننتسب لهذا الدين لهو شعور لا يوازيه شعور، وهو الشعور الذي يجعلنا نخطو بشموخ وثقة لأننا حينها سنخطو نحن نعرف عظمة الشيء الذي ننتسب إليه.

عظمة هذا الدين، والذي جعله لنا سبحانه الدين القويم الذي لن يقبل غيره ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾**﴾[2]، وبعظمة الكتاب الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ مهيمنًا وخاتمًا لكل الكتب السماوية، وديننا الإسلامي مهيمنا على كل الأديان ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّـهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّـهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

[1] سورة يوسف آية 38 .

[2] سورة آل عمران آية 85 .

فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1]، **وبالتالي ليس هنالك حق غير هذا الدين، والله سبحانه هو مولى لكل متمسك به ونصير، وعندما نعلم ذلك، ونعلم حقيقة هذا الدين وباطل غيره من ملل أهل الباطل فإن ذلك سيشعرنا بالفخر ونحن ننتسب إليه.**

إن الشعور بالفخر هنا لن يكون مردوده علينا فقط نحن المنتسبين لهذا الدين، إن الشعور بذلك سيكون مردوده على غيرنا من غير المسلمين عندما يجدوننا مقبلين على أحكام ديننا، ملتزمين به بعزة وشموخ في ميادين حياتنا، غير آبهين بدينهم وبمعتقداتهم الباطلة.

إننا عندما نظهر شعائر ديننا ونفخر بها ونؤديها بسعادة، والسعادة هنا مصدرها الانتماء لهذا الدين، إننا بذلك ننقل لغيرنا صورة عن روعة هذا الدين، وبالتالي دعوتهم للإبحار معنا في أعماقه.

إنها الروعة التي حُرموا منها بسببنا طالما لم نستمتع بها ونعيشها.

نعم، حرموا منها بسببنا، لأنهم ما وجدونا معتزين به، فظنوه كغيره من الأديان الباطلة.

إن مما يسيء أن نجد بعض أبناء المسلمين غير مستشعرين بعظمة دينهم، أو بحجم انتمائهم له، وهذا الذي جعلهم يتبعون أصحاب الملل الأخرى الباطلة في لباسهم وهيئتهم، بل حتى وصل بالبعض إلى معتقداتهم أيضًا مما جعل ديننا وكأنه غريب، وصدق ﷺ يوم أن قال: (بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء)[2] .

---

[1] سورة المائدة آية 48 .

[2] رواه مسلم .

لنعلم أنه ليس هنالك عزة إلا بهذا الدين، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، وعلى ذلك لن تكون لنا عزة بعيدًا عنه، وعندما نبتغي العزة بعيدًا عن ذلك سيذلنا الله كما قال عمر رضي الله تعالى عنه.**

المتعة تبعث العزة:

لنعلم أننا لن نحقق العزة في ديننا طالما أننا لم نستمتع بخطواتنا، ولو لم نشعر بالمتعة ونحن نخطو لزللنا ولضللنا الطريق، والمتعة هنا هي الحلاوة التي نتذوقها فنزداد بها استمتاعًا وتعلقًا بهذا الدين، وقد بين لنا نبينا ﷺ كيف نحصل على هذه الحلاوة عندما قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره إن يقذف في النار)[2]**، دلنا على الحلاوة التي تجلب لنا محبة ونحن نخطو فيتحقق لنا شعور بالمتعة، وبالتالي العزة، فنكره ترك هذا الدين، ولنعلم بأن الحب هنا هو الخطوة المحققة لكثير من الخطوات ونحن سائرون نحو السماء.**

لكثير من الخطوات لأننا بحبنا لهذا الدين وجعله مقياسًا لنا لما نحب في حياتنا سيجعلنا مستمتعين به ونحن نخوض فيه، وحتى نعرف أننا نحب هذا الدين ومستمتعين به لنرى أنفسنا في خلواتنا.

في سرائرنا معه سبحانه وأنسنا به، ولو تحقق لنا الأنس به لتذوقنا الحلاوة التي ذكرها نبينا ﷺ.

إنها أعمال السرائر، نعم، فبها تعرف حقيقتك مع الله عز وجل وحقيقة محبتك له وحبك لهذا الدين.

---

[1] سورة المنافقون آية 8 .

[2] رواه مسلم .

إنها العلاقة التي نبنيها مع الله عز وجل، وهي علاقة خالصة صادقة لا فيها رياء ولا كذب.

هي علاقة استشعرها يوسف عليه السلام.

استشعرها فبناها مع ربه في عباداته، فها هو هنا يسر لربه بدعاء ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1] **فكان سببًا لأن يستجيب الله له مادام أنه وجد في تلك العلاقة الصدق من ذلك العبد الصالح** ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾[2] .

استشعرها فكانت أنسًا له في غربته، وسلوى له وهو يخوض في هذه الحياة.

إنها العلاقة التي تسمو بصاحبها ما دام أن صاحبها سمى إلى رب العالمين.

[1] سورة يوسف آية 33 .

[2] سورة يوسف آية 34 .

حتى تصل اتبع الخريطة

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[1].

لذلك استمر، وحقق، وأنجز عليه السلام.

حقق يوسف عليه السلام في طريق دعوته من تبليغ أمر ربه بإتباعه المنهج الصحيح.

نجح وحقق لأنه سار على طريق آبائه.

إنه الاتباع.

إنه السير على خطى الأنبياء، ومتابعة هديهم.

(تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)[2]، **قالها لنا صلى الله عليه وسلم لعلمه أننا بذلك لن نضل.**

قالها لنا ﷺ حتى نعلم أنه ليس لنا إلا ذلك.

قالها لنا ﷺ وربنا سبحانه قد أمرنا بذلك: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1]

---

[1] سورة يوسف آية 38 .

[2] رواه مسلم .

قالها ﷺ لعلمه أن هنالك من سيظهر علينا ليغير لنا الطريق.

إن إتباع هدي الأنبياء والسير على منهجهم لهو المنجاة الحقيقية والطمأنينة لنا ونحن نخوض في هذه الحياة.

لهو المنجاة الحقيقية لأننا حينها سنسير في الطريق الصحيح نحو السماء بطمأنينة، والطمأنينة هنا هي استشعارنا أننا نسير على الطريق الصحيح الموصل للنهاية السعيدة التي نرجوها، وبالتالي الراحة النفسية لصحة هذه الخطوات لأن النبي ﷺ يقول: (وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[2] **فنطمئن لأن نكون من الفرقة الناجية.**

نعم، لن تصل طالما أنك تتبع الطريق الخطأ.

ليست هي نظرية بقدر ما هي بديهة يعرفها الجميع.

نعم إذا أردنا الوصول للنهاية لابد لنا من السير بطريقة صحيحة.

من أن نتبع الخطوات السليمة للوصول، ولن يكون هنالك طريق أفضل من الطريق الذي رسمه لنا نبينا محمد ﷺ.

من الطريق الذي سار فيه هو وصحابته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وعندها لن نضل .

نعم، لن نضل.

لن نضل طالما أتبعنا الطريق الصحيح.

لن نضل طالما اتبعنا كتاب ربنا جل وعلا.

---

[1] سورة الحشر آية 7 .

[2] رواه الترمذي .

طالما سرنا على منهج نبينا محمد ﷺ، وعلى ذلك لا نجعل مجالا لاجتهاد يكون مخالفًا لسنته صلى الله عليه وسلم، ولنعلم علما يقينا أن نبينا محمد ﷺ عندما توفي وانتقل إلى ربه لم يكن هنالك شيئًا لم يخبرنا به، أو لم يدلنا عليه.

لنعرف أن الله سبحانه وتعالى قد أكمل به الدين.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾**[1].

هذا هو الطريق الصحيح ولا طريق لنا غيره، لنعلم ذلك جيدًا ونحن نخطو.

ماذا يريدون ؟

قد نصادف ونحن سائرون في طريقنا نحو السماء الكثير ممن يشكك في خطواتنا.

ممن يشكك في منهجنا.

تارة بأنه قديم ونظريات عفا عليها الزمن، وأننا في القرن الحادي والعشرين.

وتارة باسم حرية المرأة وتحرير المجتمعات، وأن الإسلام قد هضم حق المرأة.

وتارة باستغلال التيسير، وأن المسألة فيها سعة.

وأخرى بأننا ظلاميون، وأنهم تنويريون.

أنهم متفتحون، وأننا في رجعية وتخلف طالما أننا نتبع منهجًا مر عليه أكثر من ألف وأربعمائة عام.

تارة بقولهم أنهم مدنيون، وأن الدين لا يتعدى سور المسجد.

[1] سورة المائدة آية 3 .

تارة بأننا لا نعرف في حقوق الناس.

سبحان الله كيف يتجرؤون على هذه الأقوال؟ وماذا يريدون من وراء ذلك؟

نعم، سؤال يدور في مخيلتنا ونحن نقرأ هنا ونسمع هناك.

ماذا يريدون؟

ماذا يريد من يدعي أنه يملك خارطة الطريق للسير بنا في هذه الحياة كما يريد وكما يظن، وأنه يملك فكراً هو خير لنا من الجاهلية التي نحن نعيش فيها.

إذا كانوا يقولون بأن هذا الزمان لا يناسبه ما كان قبل ألف وأربعمائة عام فلنسألهم:

لماذا الله سبحانه لم يرسل رسولًا لهذا الزمان والذي هو بحاجة لمنهج جديد يناسبه كما تلمحون؟

لماذا اكتفى الله سبحانه برسولنا محمد ﷺ وأكمل به الدين رغم أن هذا الدين فيه من النقصان ما لا يناسب هذا الزمان؟

حتما لن يستطيعوا الإجابة.

لن يستطيعوا الإجابة لأن ما بنو عليه كلامهم ليس من الدين بشيء، إنما بنو كلامهم على أهواء وعقل ما استطاع استيعاب أحكام هذا الدين، فلم يرتق له إنما حاول أن يهبط به مع أهوائه ولن يستطيع.

إن العقل الفطري الصحيح لا يخالف الشرع، ولو خالفه فإنه يعود مباشرة لأنه يعلم انه لا منجاة له في مخالفته، والله سبحانه مدح أصحاب العقول السليمة عندما قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴿١٩٠﴾الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ

﴿١٩١﴾[1]، لكن عندما يختلط هذا العقل بهوى فاسد فإنه يشطح به بعيدًا بعيدًا فيهلك ويفسد و يصبح لا خير فيه، وعلى ذلك يجب أن تقودنا عقولنا للشرع، وأن نجعل ذلك لنا منهاجًا، ولنعلم أن ما أصلح أول الزمان سيصلح آخره، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الخلق، وهو سبحانه أعلم بما يناسبهم.

ليعلموا أن دينا اهتم بحقوق الحيوان والرأفة به سيهتم من باب أولى بحقوق الإنسان وحريته، رجل أو امرأة، ولو تأملنا في بلاد الغرب لوجدنا أن منهم من يطالب باستخدام النظام الإسلامي في إصلاح ما أفسدته الأنظمة الوضعية لأنها ما أنتجت لهم إلا هبوطًا في الأخلاق وضيقًا في الحياة.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[2]، **نعم لن نؤمن حتى نسلم بمنهج الله، وحتى نحكم الله في أنفسنا وما حولنا.**

إنه سبحانه أوجد نظاما لتسير به الأرض وأرسل لنا رسلًا ليعلمونا هذا النظام، وليس للأرض أن تسير دونه.

لنفهم ذلك جيداً.

لنفهم ذلك ولنعلم أنه طالما أننا من أمة محمد ﷺ، فنحن مطالبون بإحياء منهجه الذي أنزله الله لها، وعندما تتغير هذه الأمة لنفعل بعد ذلك ما نشاء، ولن يكون ذلك لأنها آخر الأمم.

هل هنالك طرق مختصرة للوصول ؟

أحيانا نتعب من المسير.

---

[1] سورة آل عمران آية 190- 191 .

[2] سورة النساء آية 65 .

من إتباع الخريطة للوصول إلى السماء.

أحيانا نقول كم هو الطريق متعب.

كم هي أحكام الدين مرهقة، ونبدأ بالبحث عن المحلل اللاشرعي.

عن المخرج.

عن شيء يناسب الناس الآن.

عن أشياء نختصر بها الطريق لنحقق بعض ما نريد.

لا يهم، المهم أن نصل للنتيجة.

أن نجد طريقة نعيش بها هذا الدين، ولا بأس بمسمى مناسب حتى لا تختلط الأمور.

أن نجد طريقًا مختصرًا يسهل لنا ما نراه مرهقًا.

نبحث عن ذلك ننسى أن هذا الدين يسر، وأن الله سبحانه وتعالى هو من خلقنا، ولذلك هو أعلم بما هو أصلح لنا.

إن نبينا محمدا ﷺ عانى كثيرًا في طريق الدعوة حتى يوصل لنا هذا الدين سهلًا ميسرًا صافيًا لا تشوبه شائبة، لكن ما يحزن هو أننا نجد ونحن نسير من يضيف لهذا الدين ما ليس منه، من بدع أو خرافات أو اجتهادات ما أنزل الله بها من سلطان، تقول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)[1].

إذاً كيف أبحث في مسألة بغرض التيسير، والمصطفى ﷺ قد فصل فيها ؟

[1] رواه البخاري .

كيف آخذ بقول متأخر، والصحابة رضوان الله عليهم قد أجمعوا على حكم ما؟

كيف اجتهد لأعمل عملًا هو حرام، لكن قد أسميه باسم لطيف لعله يتغير للحلال؟

لنعلم جيدًا أن اختلاف الأسماء لا تغير الأحكام، ولذلك من يظهر علينا ليسمي لنا الموسيقى أو الخمر أو غيرها من أمور بغير اسمها فإن ذلك لا يحلها، ولنعلم جيدًا أننا كبشر متبعين مجتهدين لا مشرعين.

إننا مطالبين كأفراد بإتباع الحق والسعي لتحصيله، وكعلماء بتوضيح أحكام الدين للناس وفق ما يراه الشرع لا وفق ما نراه نحن.

إن الاجتهاد في المسائل الفقهية أمر درج عليه الصحابة وعلماء الأمة من بعدهم، لكن اجتهادهم كان على أصول ساروا بها، وقياس شرعي للمسائل دون تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه، وعلى ذلك لا يكون اجتهادنا هنا مبني على وجهة نظر، بل يجب أن يكون اجتهادنا هنا مبني على ما وافق الدين بالقياس.

و القياس هنا قياس الأدلة لا قياس العاطفة.

لنعلم جيدًا أن هذا الدين واضح، ومنهج المصطفى ﷺ واضح، وهو مسهل لنا بالقدر الذي أراده الله لنا، و ليس لنا طريق سواه، لنسير فيه، ولن نضل طالما تمسكنا به، ولن نصل طالما اتبعنا غير ذلك.

إن ما يصلح الناس هو إتباع المصطفى ﷺ، وهو النبع الصافي الذي نهل منه الصحابة والتابعين إلى يومنا هذا، فعاشوا وسعدوا، ولن نسعد نحن بمثل سعادتهم إلا إذا نهلنا من نفس النبع الذي نهلوا منه.

لنجتمع على الحق:

أحيانا قد يقودنا حرصنا على تقريب وجهات النظر وعلى لم شمل الأمة لأن نقدم تنازلات بحجة جمع الكلمة، وهذا من الخطأ الذي قد نقع فيه، فليس هنالك كلمة نجتمع عليها غير كلمة الحق.

لا نرضي صاحب منهج باطل بحجة أن نكون مجتمعين لأن الاجتماع لا يكون إلا على حق والحق هو ما وافق الشرع.

هو ما أنزله الله لنجتمع جميعًا تحت منهجه.

وهنا لنتنبه أنه لو اختلفنا في مسألة كان اجتهادنا الصحيح حاضرًا فيها فلنعد للشرع ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ﴾[1] ولا يكون ذلك مدعاة للفرقة والتباغض والتناحر في وقت نحن أشد ما نكون فيه بحاجة للوحدة الإسلامية.

ليحترم كل منا الآخر، ونعلم أن اختلافاتنا هنا كانت من أجل الوصول للحق، وطالما أننا عرفناه لنعد إليه ونتمسك به، لنتيقن أنه لن نستفيد من هذا الحق الذي حرصنا على تحقيقه طالما أننا متباعدين منشقين يشتم بعضنا بعضًا.

لنتذكر ونحن نختلف أننا إخوة يجمعنا دين واحد نعيش تحت ظله ونحيا به، ولنتيقن أننا لو تذكرنا ذلك فسنرتقي ونحقق؛ عكس ما نكون عليه في الخلاف الذي ما هو إلا طريق لتمزيق وتشتيت الأمة، والواقع دليل لما صرنا عليه من اختلاف في الفكر، والإصرار على تمسك كلٌ بفكره، فصرنا فيه لما صرنا والله يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2] .

---

[1] سورة النساء 59 .

[2] سورة الأنفال آية 46 .

العلم ينير لنا الطريق

علم يعقوب عليه السلام أن ما سيناله ابنه يوسف عليه السلام هو خير عظيم، كيف لا والله سبحانه اجتباه ليعلمه ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [1].

لنعلم أن اختيار الله للعبد يكون بأن يكرمه بالعلم، ويوافق ذلك حديث المصطفى ﷺ (من يرد الله به خيرا يفقه في الدين)[2] .

نعم، إذا أراد الله سبحانه الخير للعبد علمه لأنه بذلك سيكون عارفًا بربه عالمًا بدينه، وذلك مدعاة للخشية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3]**، وكذلك سيكون سببًا في حصول الخيرية لذلك الإنسان لو علم بهذا العلم كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:** (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[4].

إن الإيمان الراسخ في القلب والعلم الشرعي الصحيح وفق منهج المصطفى ﷺ **لهو من الزاد المعين للسير في هذه الحياة كما ذكرنا سابقًا، لذلك نجد المصطفى**

---

[1] سورة يوسف آية 6 .

[2] رواه البخاري .

[3] سورة فاطر آية 28 .

[4] رواه البخاري .

ﷺ وهو في رحلته لتبليغ رسالة ربه يزود صحابته رضوان الله عليهم بالتقوى دائمًا ويعلمهم، فها هو هنا يعلم صبيًا في أمر دينه لأنه يعلم أنه بذلك يقوم حياته (يا غلام إني أعلمك كلمات، أحفظ الله يحفظك..)[1] **ثم يبين عليه الصلاة والسلام أمرًا مهما لذلك الفتى حتى يتأمل تلك الكلمات كلما سار في هذه الحياة** (وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)[2] **قال له تلك الكلمات حتى تكون له زادًا في مستقبله فيسير بها.**

علم عليه الصلاة والسلام أن أصحابه سيعانون كثيرًا في السير نحو الآخرة فكان يعلمهم هذه الكلمات.

كان ﷺ حريصًا على أن يعلمهم أمور دينهم، لأنه يعلم أن الجهل لو سيطر على أمة ما فإنها ستفقد ما يعينها في السير نحو ما تصبوا إليه.

ستفتقد ذلك بالجهل الذي سيتمكن منها فتسير بعاطفتها في ظل غياب علم، و قد تحدثنا عن أثر العلم في التربية في فصل سابق، وبالتالي ستفتقد إلى الخريطة التي ستسير بها على هذا الطريق.

إنه النور الذي يضيء لنا خطواتنا ونحن نسير.

النور الذي نرى من خلاله عقبات الطريق فنتجنبها.

هو النور الذي يرينا من معنا ومن هم أعداءنا، و هو الشيء الذي يجمع كلمتنا إذا اختلفنا، وقد تحدثنا في فصل سابق عن اختلاف الكلمة وضررها على الأمة، ولأن به نعرف من نحن، وماذا نكون، وهو المقياس الذي نقيس به الخطوات، والملجأ الذي نلجأ إليه بإذن ربنا كلما أشكل علينا أمر.

---

[1] رواه الترمذي .

[2] رواه الترمذي .

التقوى يضبط العلم:

إن أمور ديننا لا نحصل عليها ولا نقيسها بغير مقياس العلم، ذلك العلم المبني على ما علمنا إياه رسولنا ﷺ بعيدًا عن التحريف.

بعيدًا عن الأهواء والعاطفة في إصدار حكم ما، أو الاستعجال، وعلى ذلك لنتقي الله في اتباعنا لديننا وعملنا بما علمنا، و الله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّـهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّـهُ﴾[1] .

لنتقي الله، لأن الإنسان منا لو حقق التقوى فإنه بذلك سيحرص على العلم الصحيح الذي يساعده على السير في الحياة، ولو حققنا التقوى فلن نتعصب للرأي، ولن نتجاوز حكم، لأن مخافة الله ستكون الفيصل هنا، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[2]**، فكلما زاد العلم الحرص على العمل به زادت معرفتنا بالله، وبالتالي خشيتنا منه، وزاد علمنا بالطريق الذي نسير فيه، ومن ذلك نتعلم أنه لا فائدة من علم دون تقوى، لأن العلم دون تقوى سيقود بصاحبه لتجاوزات بحجج عدة غلب عليها ظن العقل، في حين أن التقوى يعيد الحسابات لعقل صاحبه ويشعره أنه عبد لله مأمور باتباع منهاجه سبحانه.**

إن تقوى يوسف عليه السلام قاده لنقل هذا العلم بعيدًا عن استغلاله لهدف آخر، وذلك عندما جاءه الرجل ليعرض عليه رؤيا الملك في وقت كان يوسف عليه السلام بحاجة لاستغلال الحدث والمساومة به على خروجه من السجن، لكنه ما فعل ذلك عليه السلام لأنه يعلم أن لا مساومة في تبليغ دين الله.

نعم هو بحاجة لأن يخرج من السجن لكنه أمام تبليغ علم ودين، وهو أكبر من أن يساوم بهذا الدين.

هو أكبر من أن يحور إجابته لما يفيد المستفتي حتى يستفيد منه، طالما هو في أزمة.

---

[1] سورة البقرة آية 282 .

[2] سورة فاطر آية 28 .

إن يوسف عليه السلام استشعر دوره كمبلغ وكنبي من عند الله.

استشعر دوره كداعية ومربي فكان ما كان، وذكر ما عنده من علم بأمانة، وأوصى الرجل بما يدين الله به، وعندما تعلق الأمر بعد ذلك بإرادة الملك أن يقربه منه؛ وأن الأمر الآن أصبح متعلقًا بالدنيا هنا توقف وأمر بظهور براءته أولًا.

إنهم العلماء يوم أن استشعروا ما يحملون من علم وحاجة الناس لذلك العلم والنور وهم يسيرون في هذا الطريق.

مع أي القوافل ستسير؟

سؤال مهم جدا ليسأله كل واحد منا نفسه.

مع أي القوافل ستسير؟

لكن قبل أن نجيب لنعد إلى يوسف عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾[1]

عندما دخل يوسف عليه السلام السجن فإنه حتما سيتعرف على رفقة تعيش معه في نفس المكان، وسيقضي معها إلى أن يمن الله عليه بالخروج من السجن، وهذا ما حدث بالفعل، وهنا سنرى كيف كان تأثير هذه الرفقة.

إن الرفقة دائمًا ما يكون لها التأثير الكبير في حياة الإنسان منا، ويتبين ذلك بوضوح في صاحبي السجن عندما رافقا شابا ذو دين وأخلاق مثل يوسف عليه السلام، ذلك الذي عرفهما بالله، وأصلحهما، ثم كيف أن الساقي الذي كان رفيقًا ليوسف عليه السلام كان سببًا في خروج يوسف بعد ذلك عندما تذكره في تفسير رؤيا الملك، بعد أن هداه الله وخرج من السجن.

إنها الرفقة الصالحة يوم أن حضرت فحضر معها صلاح النفس، لذلك سل نفسك مع أي القوافل ستسير؟

---

[1] سورة يوسف آية 36 .

دائمًا ما نسمع هذا السؤال عندما نريد السفر لمكان ما، ذلك لأن الرفقة يكون لها الدور الكبير في المساهمة على سلامة الرحلة ومتعتها.

نختار دائمًا من هم أفضل في العلم بالطريق، وفي حسن المعشر، كيف لا والسفر بحاجة إلى من هو أعلم به، ومن هو خير أنيس على وحشته، وهكذا ينبغي لنا أن نحرص ونحن سائرون في هذه الحياة.

أن نحرص على اختيار الرفقة ممن يعيننا في ديننا، وهكذا هو الواحد منا بحاجة إلى من يعينه في خطواته ويدله على الطريق إلى السماء.

إلى رضى الرحمن عز وجل.

إننا ونحن سائرون في خطواتنا قد نزل يومًا.

قد نخطئ، وكم هو رائع أن نجد من إخواننا من يكون لنا عونًا يعيدنا إلى الطريق الصحيح لنكمل المسير.

إنه المؤثر الخارجي الذي تكلمنا عنه في فصل سابق، والذي نحن بحاجة إليه ليرتفع المقياس الإيماني لدينا.

إن الإنسان اجتماعي بطبعه، لا يستطيع العيش منفردًا، ولا الاستقلال بذاته بعيدًا عن الناس في بيئة منفردة، بل ببناء مجتمع والعيش فيه لتستمر فيه حياته ويأنس به، لذلك فهو بحاجة إلى مجتمع صالح يقوم فيه، وصحبة صالحة تعينه ويعينها للرقي بهذا المجتمع الذي سيعيش فيه، ولن تعطي هذه الرفقة ثمرتها بعيًدا عن منهج الله سبحانه، وبالتالي كلما كانت الرفقة صالحة كلما كان ذلك سببًا في صلاحنا نحن، وبالتالي تعاوننا في إصلاح مجتمعنا، ولذلك لنختار من يعيننا، ويرتقي بنا، لنرتقي به، ونرتقي جميعًا بمجتمعنا، والذي هو حتمًا فيه الخير لديننا.

وهنا لنعلم جيدًا أننا عندما نتحدث عن اختيار الرفقة الصالحة فليس المقصود من ذلك صحبة الأصدقاء فقط.. لا.

إننا ونحن سائرون سنسير مع قوافل أخرى سواءً في البيت، أو العمل، أو في أي مكان آخر، وهنا لنختار لكل مكان ما يناسبه لنسير معه، فالبيت بحاجة لاختيار زوجة صالحة تكون معينة لزوجها في المسير، ويعينها زوجها لينشأ جيلًا جديدًا من الأبناء بفضل هذه الصحبة الصالحة.

إن اختيار الزوجة ليس بالأمر السهل، لأنها البذرة التي نزرعها في البيت فتنتج لنا ثمارًا يانعة تزيد البيت جمالًا وتصنع به رفقاء صالحين من أبناء بارين مقدمين لمجتمعهم، ونفس الكلام كذلك للزوجة عند اختيارها زوجها.

كذلك في كل مكان يدعونا للتوقف ونحن نسير في هذه الحياة من اختيار المنزل المناسب للسكن مع صحبة صالحة من جيران يحيطون بالدار، وأيضًا بيئة العمل لنحرص على اختيار المكان المناسب لنعمل فيه، ويكون عونًا لنا لا لتحصيل المال فقط؛ لكن ليكون عونا لنا أيضًا في التمسك بديننا.

ليكن هذا العمل فرصة لتبليغ دين الله، خاصة وأننا قد نجد فيه الكثيرين ممن هم بحاجة لتعلم هذا الدين حتى يصبح لدينا جوًا صحيًا وبيئةً نقية.

وهنا لنتنبه إلى مسألة ونحن نسير، وهي ألا يكون هدفنا دائمًا أن ننظر إلى تأثرنا بالرفقة.. لا، لننظر كذلك لتأثيرنا على هذه الرفقة أيضا لأنه أحيانا قد نجبر على السير مع رفقة معينة أو تقودنا الظروف إلى ذلك؛ وهنا لنحاول أن نؤثر على هذه الرفقة، ونستغل ذلك ليكون سببًا لنا في تحصيل الأجر وإصلاحها.

لنعلم أنه لابد لنا من أن يأتي الوقت لنؤثر في الصحبة التي نسير معها، وقد تحدثنا عن ذلك في فصل سابق عن كيفية أن ننثر البذور من حولنا، و حتى نؤثر لا بد لنا من أن نكون أقوياء، وقوتنا هنا نستمدها من الزاد الإيماني الذي نتزود به كما ذكرنا، فيكون عونا لنا من أن نتعرض لمؤثرات فبدل أن نؤثر في الرفقة نتأثر بها فنزل، وهذه مشكلة تواجه الكثيرين منا، فكثيرًا ما سمعنا بمن زل عن الطريق بسبب أنه أراد الاستمرار مع رفقة سيئة ليدلها على الحق فضعف وزل وعاد لسابق عهده.

لنتنبه لذلك الأمر جيدًا و لا نغتر بأنفسنا فنزل بعد أن أنجانا الله من الضلال.

وأنت تسير التزم بآداب الطريق

﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

ما كان يوسف عليه السلام أن يؤثر فيمن حوله وهو يخطو نحو السماء دون تلك الأخلاق والآداب التي ملكها، فها هو وإن حاولت زوجة عزيز مصر أن تصغر شأنه إلا أنها لم تستطع، لأن توفيق الله عز وجل له و حفظه كان حاضرًا.

لم تستطيع لأنه بخلقه الذي ملكه كان جوابًا فعليًا لكل قول أراد التصغير منه.

إنها الأخلاق والذكر الحسن فهي رأس مال الإنسان منا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم و لكن يسعهم منكم بسط الوجه و حسن الخلق)[2] **.**

بما أننا نعيش في مجتمع، وأننا كبشر لا نستطيع العيش بعيدًا عن هذا المجتمع، فبالتالي لا بد لنا من أن نحترم هذا المجتمع وأن نحترم الطريق.

من أن نلتزم بآدابه ونحن نسير، نلتزم بآدابنا مع الطريق، ومع كل من يسير فيه ممن هم معنا، أو حولنا، فنحسن إليهم، ونتواضع لهم، ونكون لهم عونًا.

---

[1] سورة يوسف آية 36 .

[2] ذكره ابن حجر في فتح الباري .

تحدثنا في موضوع سابق كيف أنه ينبغي لنا من اختيار الرفقة الصالحة، وحتى يحافظ الواحد منا على هذه الرفقة ينبغي عليه أن يعطيها حقها من الإحسان والنصح والبر، وأن لكل رفيق في الطريق حق يختلف في الأهمية والقدر عن الآخرين، فللوالدين حق، بل أن لهما الحق الأعظم بين جميع من حولنا من بر وإحسان وتكريم و للأهل حقوق سواء من إخوة أو أخوات أو زوجة أو أبناء.

للصحبة كذلك حق وللجار حق بل أن للغريب من عابر سبيل أيضًا حق.

إنها حقوق حفظها الإسلام فيما بيننا ليعم السلام والحب أرجاء المجتمع الذي نعيش فيه، ولو تأملنا في هذه الحقوق لوجدنا أنها ما كانت إلا من أجل استمرار الحياة، فالطفل الصغير جعل له الإسلام حقوقًا على الوالدين، فكانت هذه الحقوق سببًا في العناية به وتنشئته، كذلك الوالدين الذين كبرا جعل لهما حقوق على أبنائهما، فكانت بالتالي سببًا في حفظهما عند الكبر، وهكذا لو تأملنا في كل الحقوق التي فرضها علينا الإسلام نجد أنها من أجل الإنسان.

إن ديننا الإسلامي حفظ أهل الأرض بحقوق يؤديها بعضهم لبعض لتستمر الحياة وفق نظام أراده الله سبحانه لهم، وهذه الحقوق هي الحقوق الصحيحة العادلة، وَأن ما يدعيه البعض من أن الإسلام قد هضم حقوقا فإن ذلك هراء ما أرادوا من وراءه إلا النيل من هذا الدين كما ذكرنا .

إنهم يوم أن ادعوا أن للمرأة حقوقًا غير التي فرضها الإسلام؛ إنهم بذلك ما زادوها إلا ذلًا وإهانة، ولو تأملنا في مقابل ذلك مما فرضه الإسلام من حقوق لها لوجدنا أنها هي الحقوق التي صانتها وحفظتها وأعلت من شأنها.

إن قوانين وأنظمة الدنيا لا نستطيع تجاوزها خوفًا من عقوبات تفرض علينا، فنجد أنفسنا متمسكين بها، بينما ما نؤمر به من حقوق وواجبات فرضها علينا ديننا نجد منا من يتساهل فيها غير مبال بها.

إننا عندما نسير في هذه الحياة نظن أننا مطالبين بأن نصلح ما بيننا وبين ربنا فقط، ونهتم بذلك اهتمامًا عظيمًا، وهذا من الخطأ الذي نقع فيه، لأنه كما يجب علينا أن نصلح علاقاتنا مع الله عز وجل يجب علينا أيضًا أن نصلح علاقاتنا مع

الناس، ولنعلم أنه عندما نصلح علاقاتنا مع الناس فإننا بذلك نصلحها مع رب الناس، لأنه هو من أمرنا بذلك.

إنه لمن المؤسف حقًا أن نجد من يتعامل مع هذه الحقوق وفق هواه، ولا يستشعر حرص الإسلام على ذلك، بل يتعامل معها وفق مصالحه الشخصية، فنجد كيف أن البعض مع أهل بيته يعاملهم بجفاء، بينما نجده غير ذلك أمام الناس، خاصة أمام من هم أعلى منه مراتب.

إن الإنسان منا لابد له من أن يحسن لمن حوله، سواء كانوا أعلى منه مكانة أو أقل، لأنه قبل أن يحسن إليهم هو يحسن لنفسه ويحترمها، ويرجو بإحسانه رضى ربه كما ذكرنا، ولنعلم أن الدين عبادة مع الله ومعاملة مع الناس.

وعندما نتحدث من أن المسلم ينبغي عليه الالتزام بهذه الآداب والمحافظة على حقوق من حوله فليس معنى ذلك أن يكون المسلم في صورة الإنسان الساذج.. لا.

ليس معنى ذلك أن يترك من حوله ينهشون فيه بحجة الطيبة أو التلطف، أو أن يظهر بمظهر رديء بحجة الزهد، إلى غير ذلك من امتهان للنفس، وما علم الحكمة الحقيقية من التمثل بهذه الآداب .

إن ما يرسمه البعض من أن المسلم كذلك إنما هي محاولة حاقدة لتشويهه ومحاربته بهذه الصورة، والتي لا تمثل الإنسان المسلم المتمسك بدينه في شيء.

إن يوسف عليه السلام عندما افترت عليه زوجة العزيز صدع بما يبرئه ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**﴾[1]، ولم يرد أن يكون ذلك الضعيف الذي يستطيعون استغفاله أو الضحك عليه.**

إن الطيبة خلق رائع، وكذلك التواضع، إلى غيرها من آداب، لكن عندما توضع في غير محلها فإنها ما تزيد صاحبها إلا خذلانًا، ولنعلم أن الإسلام ما جعل هذه الحقوق والآداب إلا لترتقي بالإنسان، وسترتقي به مادام أنه أحسن استخدامها.

[1] سورة يوسف آية 27 .

بالعدل يستقيم لنا الطريق

علمنا من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز كيف أنها راودته عن نفسه، وأنه عليه السلام امتنع عن ذلك وهرب من أمامها باتجاه الباب.

علمنا كيف أن ذلك كان مع إقبال عزيز مصر عليهما، وعلمنا كيف أن الدلائل كانت تشير إلى تبرءة يوسف عليه السلام اتهام امرأة العزيز، خاصة مع شهادة الشاهد وأنه إن كان قميص يوسف قد من قبل فكذب وكانت المرأة صادقة، وإن كان قميصه قد من دبر فصدق وكانت المرأة كاذبة.

علمنا كل ذلك وكيف أن عزيز مصر رأى هنا السكوت عن القضية وإغلاقها مع توجيه عتاب لطيف لكلاً الطرفين حفاظًا على سمعة القصر.

هكذا وبكل بساطة أغلقت القضية وانتهى كل شيء، لكن ذلك لم يكن العدل.

لم يكن العدل لأن في ذلك ظلم لطرف من أطراف القضية وهو يوسف عليه السلام.

لم يكن العدل لأن ذلك قد يزيد الظالم آذيةً على المظلوم، ووجدنا كيف أن امرأة العزيز واصلت بعد ذلك أذيتها ليوسف عليه السلام، بل أن نساء المدينة أصبحن مثلها في أذيته.

لم يكن العدل لشعور المظلوم بضيق الأرض عليه نتيجة الظلم الذي يشعر به، وسطوة الظالم عليه، في ظل غياب عدل يردعه مما جعله يتمنى الخروج من

العالم الذي يعيش فيه معهم إلى السجن، و لو كان غير يوسف عليه السلام لتمنى الخروج من الدنيا لا السجن، لذلك تمني السجن على ألا يزاد في أذيته أو أن ينجر للظالم ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾[1] .**

إنه العدل عندما يغيب فيفعل الأفاعيل، ولننظر عندما حضر العدل بعد ذلك ما الذي حدث.

مع استمرار أحداث القصة، وبعد أن فسر يوسف عليه السلام وهو في السجن رؤيا الملك؛ وأراد الملك مقابل ذلك أن يخرجه من السجن يقربه منه إحسانًا منه وتلطفًا، خاصة وهو يرى فيه النبوغ والرشد، نجد كيف أنه عليه السلام رفض الخروج إلا بعد أن تتضح الحقيقة كاملة ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾**﴾[2]، وعندها بدأ عزيز مصر التحقيق في القضية ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ**﴾[3].**

بدأ التحقيق في القضية وعندها تغير الوضع العام للأحداث.

﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[4].

اعترفت امرأة العزيز بالخطأ.

عاد الحق ليوسف عليه السلام وثبتت براءته.

لم يكن ذلك كل ما حصل.. لا، بل حدث أمرًا آخرًا لا يقل أهمية عن نصرة المظلوم و ملامة الظالم، أتدرون ما هو؟

---

[1] سورة يوسف آية 33 .

[2] سورة يوسف آية 50 .

[3] سورة يوسف آية 51 .

[4] سورة يوسف آية 51 .

إنه توبة الظالم.

إن العدل لا ينصر المظلوم ويعاقب الظالم فحسب.. لا، إنما هو أيضًا يصلح الظالم، ويتبين لنا كيف أن زوجة العزيز عندما حضر العدل كيف أنها اعترفت بتقصيرها، وأن النفس أمارة بالسوء، وتذكرت عفو ربها ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[1] .

إن العدل هو ما تستقيم به الأمور، وهو الحل الصحيح والمنطقي لكل مشكلة تواجهنا.

لن تحل أي مشكلة تواجهنا إلا لو نظرنا إليها نظرة عدل، ولن تستقيم الحياة في أرض ملئت ظلمًا، فبالعدل تستقيم الأمور، ولا شيء غير ذلك، ولنعلم أنه ليس هنالك مبررًا مهما كان في عدم إقامته.

إن عزيز مصر عندما لم ينتصر للحق في أول الأمر فإنه ما فعل ذلك لأنه أراد أن يظلم يوسف عليه السلام.. لا، إنه أراد أن يحل مشكلة انتشار خبر مراودة زوجته ليوسف عليه السلام، فرأى حلها بهذا الأمر، لكن ذلك ما زاد الأمر إلا سوءًا.

ما زاده إلا سوءًا لأنه ما كان لمشكلة ما مهما كانت أن تحل بغير ذلك.

بغير العدل الذي هو أساس العلاقات بين الناس.

إننا عندما نحاول أن نصلح ما يواجهنا من أمور، أو عندما نحاول أن نصلح بين طرفين، لابد من حضور العدل أولًا، ثم بعد ذلك نتم ذلك الصلح، وإن ما نشاهده اليوم من بعض المصلحين من السعي إلى إصلاح بإجبار المظلوم، أو التشديد عليه من أجل تقديم تنازلات عن حقوقه، أو حتى عن بعضها، هو ظلم آخر لذلك المظلوم.

[1] سورة يوسف آية 53 .

هو ظلم آخر لأن فيه كسر له، ولو رأى المصلح مصالح أخرى قد تتحقق فلن يكون لها قيمة أمام عدم إقامة ذلك العدل وكسر المظلوم ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾[1] .

إن أي إصلاح لا يبنى على عدل إنما هو محاولة لإحياء نفس بعد خروج الروح منها، وعند ذلك لن تجدي المحاولة مادام أن ما كان يحييها قد ذهب عنها.

إنه العدل أساس الحياة.

إنه العدل الذي لن نجد له مكانًا بعيدًا عن شريعة هذا الدين.

تلك الشريعة التي أوجدها الله رحمة بعباده، ولن يكون هنالك من هو أرحم بهم منه، لذلك من يتحدث من أن أحكام هذا الدين فيها من القسوة ما فيها إنما هو يتحدث من جهل ونقص، وما علم الحكمة منها.

إن الحدود رحمة بنا يوم أن ردعت الظالم فأمن المظلوم.

إنها رحمة بنا يوم أن كان العدل إيقاظًا لضمير الظالم كي يتوب، ورأينا كيف كان ذلك مع زوجة العزيز.

إنها الشريعة الوحيدة التي تطهر الظالم ليعود إما صالحًا في حياته أو طاهرًا إلى ربه إن تاب.

إنها الشريعة الوحيدة التي يستفيد منها الظالم والمظلوم.

[1] الحجرات آية 9 .

إنها الشريعة التي تحمي الناس جميعهم دون استثناء، وترتقي بهم لينعموا بها في ظل عدل أوجده لهم من هو أعلم بهم و على ذلك لنعلم أن من يتحدث من أن القانون لا يحمي المغفلين إنما هو يتحدث عن قانون وضعي جاهل، إذ أنه ما الفائدة من قانون لا يحمي المخدوع، لأن الأذكياء لن يكونوا بحاجة للجوء إلى القانون في غالب الأحيان نتيجة فطنتهم، لكنها القوانين الوضعية البشرية التي ما استطاعت أن تواجه المكر البشري لأن من وضعها هو عقل بشري مثلها فعجزت عن مواجهة ذلك المكر الذي وجد لنفسه الخروج من باب آخر، بينما الإسلام حفظ الحقوق للجميع، عباقرة ومغفلين، وما تحريم بيع الغرر في التجارة إلا إحداها.

إنه العدل يوم أن يقوم به من هو أهل له فيُخضع الجميع تحت لوائه.

العدل شريان الحياة:

عندما نتحدث عن العدل فليست القضايا والمشكلات التي تكون بين الناس هي المحور التي يكون عندها العدل فقط.. لا.

إن العدل يكون في كل أحوالنا و نحن نخطو في هذا الطريق باتجاه السماء.

في تعاملاتنا مع ربنا، وفي أنفسنا.

في إعطاء حقوق من هم تحت مسؤوليتنا.

في حفظ الحقوق بين الزوجين، وكذلك الأبناء.

في احترام حقوق العمل.

في التعامل مع من حولنا من جيران، أو أصدقاء، أو من هم في مستوى أقل منا أو أعلى، من إعطائهم حقوقهم، وعدم العلو عليهم والتغطرس، أو العنصرية في

التعامل معهم، أو حتى في ذكرهم بسوء، و قد تكلمنا عن آداب الطريق في موضوع سابق.

كذلك العدل لابد من حضوره مع النفس أيضًا، إذ أن الإنسان منا قد يظلم نفسه بالهجوم على المعاصي فيكون سببًا في ورودها المهالك، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾[1]، قد يظلم نفسه أيضًا كذلك في عدم إعطائها حقها من الراحة، أو في تقويتها لتكون قادرة على أن تخطو في هذه الحياة، والنبي ﷺ يقول : (ولنفسك عليك حقًا)[2].

إن العدل باختصار هو في إعطاء كل ذي حق حقه، واتقاء الله في كافة الأحوال ومع كل من حولنا، ولنعلم بأن الله حرم الظلم على نفسه، فكيف لنا أن نحله فيما بيننا؟ (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)[3] **كما جاء في الحديث القدسي.**

---

[1] سورة النساء آية 110 .

[2] رواه البخاري .

[3] رواه مسلم .

قيادة الطريق

عندما ثبتت براءة يوسف عليه السلام، وعلم عزيز مصر بصلاحه وعلمه وحسن أخلاقه أخرجه من السجن، وأراد أن يقربه منه، عندها أراد يوسف عليه السلام أن يكون وزيرًا عند الملك، وكانت فرصة سانحة له لإقامة شرع الله وحكمه في الأرض، و ليعلموا أنها هي الشريعة الصحيحة لإقامة العدل ونشر الخير بكافة أشكاله بين الناس.

إن يوسف عليه السلام لم يرد الوزارة هنا بحثًا عن سلطة، أو رغبة في علو دنيوي.. لا.

إن يوسف عليه السلام عندما أراده الملك أن يكون قريبًا منه ما أراد عليه السلام أن يكون جليسًا للملك يأكل ويشرب ويهنأ بمتع الدنيا الفانية، إنه رجل رسالة وصاحب هدف أراد أن يعمل وأن يقدم شيئًا للمجتمع الذي سيعيش فيه، ولأن المناصب العالية عادة ما تكون بالقرب من الملوك فإنه من الطبيعي أن يكون في أحداها، واختار يوسف عليه السلام أن يكون وزيرًا على خزائن الأرض على غيرها من الوزارات، لعلمه من خلال تفسير الرؤيا أنها ستكون شاقة ومقبلة على تحد كبير، ولأن المنصب سيعينه على إكمال رسالته والله أعلم.

وأصبح يوسف عليه السلام وزيرًا على خزائن الأرض.

أصبح وزيرًا بعد أن كان يباع ويشترى في الأسواق.

إنه التمكين في الأرض، وثمرة الصبر الذي يوافقه صلاح، ولذلك نجح يوسف عليه السلام في منصبه.

نجح لاستشعاره بحجم المسؤولية، و لأنه عليه السلام قضى في منصبه بشرع الله، والذي هو حتمًا ما ينبغي الأخذ به والعودة إليه عندما نتبوأ هذه المناصب.

نجح عليه السلام بتوفيق ربه له يوم أن رآه مستشعرًا ذلك في كل أحواله، و لذلك استطاع بشريعة الله سبحانه أن يتجاوز الأزمة الاقتصادية التي حلت بالبلاد، بل وجاوز ذلك البلاد المجاورة، إذ أن إخوته جاؤوه ليحصلوا على الطعام من عنده لما سمعوا عن عدله.

إن الذين يبحثون عن المناصب أيًا كانت، ويلهثون وراءها ما علموا بأنها حمل على ظهورهم سيسألون عنها، فليست هي وجاهة أو مباهاة، بل هي تكليف، ومهمة بحاجة لاستشعارها واتقاء الله فيها.

إنها مسؤولية شاقة، وتكمن مشقتها في الاعتناء بمن هم تحت ولايتك، وإقامة شرع الله فيهم، والسعي على راحتهم، والارتقاء بهم بين الأمم.

إنها مهمة استشعرها عمر رضي الله تعالى عنه يوم أن قال: (ويلك يا عمر، لو أن بغلة تعثرت في العراق لسئل عنها عمر، لم لم تمهد لها الطريق؟) وعلى ذلك كان الخلفاء الراشدين فنجحوا ،وحققوا.

بشريعة الله تقوم الحياة:

قد نظن أن شريعة الله سبحانه تقضي بيننا في أمور العبادات من صلاة وصيام، وأننا عندما نخوض في هذه الحياة فإننا نحكم بما نراه مناسبًا وفق ما نعيش ونحتاج له، ضمن أولويات نرسمها ونحن نسير بمن معنا، وهذا هراء.

هراء لأن الله سبحانه تعالى هو الذي خلق هذه الأرض، وهو أيضًا الذي أوجد من عليها، وبالتالي هو الأعلم سبحانه بما هو أنفع لها، ولن يستطيع كائنًا من

كان أن يجد لها ما هو أنفع بعيدًا عن شرع الله، ذلك الشرع الذي أنزله الله على هذه الأرض ليكون لها نظامًا ومنهاجًا ينظم الحياة ويسير بها.

إن أهل الأرض لا يقومهم قانون صنع من عندهم يملكون شفرته ويغيرونه متى شاءوا، إنما يقومهم قانون نزل عليهم من أعلى لا يستطيعون أن يعبثوا به أو أن يغيروه، وليس ذلك إلا لقانون السماء.

إن شريعة الله هي القاضية في هذه الأرض، ونحن مستخلفون فيها لإقامته، ولن ننجح، ولن نسمو في هذه الحياة بعيدًا عنها، و إن تظاهر لنا بعض العلو فإنه علو مزيف لا يلبث أن يسقط سريعًا كجرف هار، وعلى ذلك فلن يستقيم حكم في هذه الأرض غير حكم الله سبحانه وتعالى.

إنها الشريعة التي أراد الله أن نقيمها يوم أن يمكننا في الأرض ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ**﴾**[1].

إن يوسف عليه السلام عندما كان يدعو السجينين لعبادة الله ذكرهما بأن الأمر لله وحده في العبادات ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّـهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾**[2]**، وأكدها يعقوب عليه السلام لأبنائه وهم يخوضون في أمور الحياة ﴿**وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّـهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّـهِ**﴾**[3]**، ومن هنا لنعلم جيدًا كما ذكرنا أن حكم الله لا يقوم في أمور العبادات فقط بل يقوم علينا أيضا حتى ونحن نعمر الأرض ونخوض في هذه الدنيا.**

إننا عندما نتكلم عن هذا الجانب فإننا نذكر به كل مسؤول من حاكم، أو صاحب عمل، أو رب أسرة، بأن يتقي الله في رعيته (كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته)[4]**، ويسعى بما يستطيع لأن تتمثل بصبغة الله والسعي لذلك، والله لا يضيع**

---

[1] سورة الحج آية 41 .

[2] سورة يوسف آية 40 .

[3] سورة يوسف آية 67 .

[4] رواه البخاري .

أجر من أحسن عملًا ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّـهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**﴾[1]، وكذلك على كل فرد أن يرضى بهذه الشريعة، ويعين وليه على تطبيقها، ويطيعه إلا في معصية الله، فإنه لا طاعة في معصية الخالق ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾**﴾[2]، إنها شريعة الله سبحانه يوم أن أنزلها على هذه الأرض لتوجد بها الطمأنينة، ولنعيش تحت ظلها آمنين مطمئنين، جيلًا بعد جيل، وأمة بعد أمة.**

الشريعة توحد الصف:

لم يكن لشريعة الله يوم أن أنزلها لنا سبحانه منهجًا و دستورًا إلا أن تزيدنا تآلفًا و ترابطًا ووحدة، لكن هذه الوحدة قد تتعرض لتشتت نتيجة أفكار رسمناها من أجل أن تقود هذه الشريعة دفة الحياة.

إنه لمن المؤسف أن نجد من المسلمين وقد تحزبوا فرقًا وأحزابًا تعمل وفق ما تراه مناسبًا لمنهج حزبها، أو أنه يخدم الجماعة وفق نظرتها، بل الأدهى أن يصل من بعضها إلى أن تتصيد الأخطاء فيما بينها، وهذا أمر مؤسف.

مؤسف لأن في ذلك تشتيت لوحدة الصف المسلم، وبالتالي فرصة لأعدائنا لأن ينالوا منا، وعلى ذلك لنحرص على أن نكون متحدين متوحدين، خاصة وأننا مسلمين موحدين لرب واحد، يجمعنا دين واحد، و هكذا ينبغي أن نكون، لنعلم أن الخدمة الحقيقية للدين هي أن نكون كذلك فيما بيننا غير مختلفين، وفق ما جاء به نبينا محمد ﷺ، ولنكن على يقين أنه ما دمنا حريصين على خدمة ديننا بعيدًا عن التعصب للرأي أو للحزب فإننا لن نختلف أبدًا لأننا سنلتقي عند نقطة معينة وهي العمل للدين.

---

[1] سورة المائدة آية 49 .

[2] سورة النساء آية 65 .

من أولًا ؟

أحيانًا قد نبتعد عن ربنا جل وعلا.

نتشاغل بأمور كثيرة وتأخذنا الدنيا بعيدًا.

نغوص في أعماق الحياة.

نبحر، ولكن بعيدًا عن ربنا جل وعلا.

نبحر بعيدًا، ويخيل لنا أننا لم نبتعد عنه سبحانه.

نبحر بعيدًا، ولكننا نقول بيننا وبين أنفسنا أننا مازلنا نصلي.

مازلنا نصوم رمضان، وأننا أفضل من غيرنا.

يخيل لنا.. نقول ونقول، ولكننا لم نشعر أين وصلنا.

لم نشعر أننا نبتعد.

لم نشعر ولم نتنبه لحالنا، ولو نظرنا حولنا لرأينا أين أخذتنا رياح الأيام، ولو سئلنا عن ذلك لقلنا إنها مشاغل الدنيا.

إنها الحياة، أليس العمل عبادة؟

ألسنا نعمر الأرض ونحن خلفاء الله فيها؟

أسئلة ما تزيدنا إلا هروبًا عن الواقع الذي وصلنا إليه.

ما تزيدنا إلا هروبًا عن حقيقة ما وصلنا إليه ونحن نخوض في الدنيا، ونزيد من حصيلتنا فيها، ونتناسى الآخرة .

نتناسى كل ذك مع زحمة الحياة، ومشاغل العمل أو التجارة- أو البيت والأبناء.

نتناسى كل ذلك لأننا نعمر الأرض.

لنعمر الأرض، نعم لنعمر الأرض لكن لا ننسى أن العبادة أولًا.

نعم، لابد لنا من أن نحسن البيئة.

من أن نرتقي بالمكان، ونتقدم، وننافس الأمم، وننال الصدارة في جميع الميادين.

من أن نكون أمة منتجة، لكن لا يبعدنا ذلك عن ربنا جل وعلا.

لا يجعلنا نتناسى ما نحن هنا من أجله.

أيضا ليكن ذلك الإعمار وفق شريعة الله، فلن يفيد الإعمار دون أن يتمثل بمراد الله.

بصبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، حتى يكون ذلك سبيلاً لنشر دين الله.

إن الإعمار في الأرض ليس مقصودًا به العلو في البناء، وفي الاختراعات والاكتشافات فقط.. لا.

إن الإعمار في الأرض هو بث الحياة فيها.

هو الارتقاء بالأرض، والارتقاء بمن فيها في جميع ميادين الحياة.

بالماديات التي حولنا، بالروح وبناء الإنسان.

نعم ببناء الإنسان فهو الحياة ذاتها وبه تقوم.

إن إعمار الأرض ما هي إلا وسيلة لإقامة حكم الله، وليس غاية من أجلها قامت الحياة.

لنجعل الحياة تسير

بعد أن أخرج سبحانه وتعالى يوسف من السجن، ومكنه في الأرض، بعد أن تحقق له ما تحقق.

بعد أن وفقه الله واجتهد بأسباب ساهمت في جمع إخوته.

بعد أن جاء الوقت ليعرف نفسه لهم ويعود شمله مع أبويه.

بعد كل ذلك، لم يفكر عليه السلام في الانتقام، ولم يتذكر يوم أن ألقاه إخوته في البئر.

لم يتذكر عليه السلام سنوات العذاب، والغربة، والسجن.

لم يتذكر ذلك لأنه عليه السلام سمى بأخلاقه، لأن ربه أدبه.

لم يتذكر ذلك عليه السلام لأنه تعلم أنها دنيا فانية لا تلبث وأن تزول.

لم يتذكر لأنه أراد للحياة بأن تسير.

كفاه عليه السلام أن رأى إخوته قد عادوا إلى ربهم قبل أن يعودوا إليه ﴿قَالُوا تَاللَّـهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّـهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾**﴾[1].**

[1] سورة يوسف آية 91.

كفاه عليه السلام ندمهم ليصلحوا من أنفسهم، ولتستمر الحياة ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّـهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾**﴾[1].**

لتستمر الحياة فما أراده من ملامته لهم قد تحقق دون أن يلومهم، فلن يغني الآن بأن تتوقف الحياة ليعاتبهم، بل زاد بأن دفعهم إلى الحياة ليسيروا فيها من جديد وكأن شيئا لمن يكن ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾**﴾[2].**

دفعهم ليعودوا صالحين، فلن يخسر هو إن ربحوا فرصة لإصلاح حياتهم.

هكذا كان يوسف عليه السلام وهكذا كان أنبياء الله.

هكذا كان أيضًا نبينا محمد ﷺ يوم أن فتح مكة وتمكن من مشركيها، فأطلقهم رجاء إسلامهم، ولم يفكر ﷺ بالانتقام لنفسه مادام أن هنالك هدف أعظم سيترتب مقابل ذلك.

هكذا كانوا، ولنكن كذلك.

إن من طبيعة الإنسان أنه يحب أن ينتصر لنفسه، خاصة عندما يكون ذلك بعد معاناة، ولا ملامة عليه، فهذا حق له كفله الدين مادام أن ذلك سيكون وفق شريعة الله، لكن أحيانًا قد نجد فيمن أساء لنا يومًا علامات ندم ورجوع، وعندها والأمر إلينا لو تنازلنا مقابل ندمه ورجوعه ابتغاء مرضاة ربنا لتستمر الحياة، ودون تجاوز لشريعة الله.

إننا بحاجة لأن نساهم في نشر الحب والصفاء، وإتاحة الفرص لمن حولنا ليعودوا، لأنها الحياة لا تستحق كل ذلك الجفاء، ولندعها تسير لنسير ونقترب من السماء.

---

[1] سورة يوسف آية 92 .

[2] سورة يوسف آية 93 .

أنت من يحدد الخطوة الأخيرة

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴿١٠١﴾﴾[1]

هنا نهاية الطريق.

وهنا اللحظة الفاصلة.

هنا نهاية الرحلة، وهنا ما تمناه يوسف عليه السلام لنفسه.

نعم، تمنى ذلك رغم ما وصل إليه من ملك وجاه ومال.

أراد أن يتوفاه الله مسلمًا ويُلحقه بالصالحين.

إن اللحظة التي تمنى يوسف عليه السلام عندما وصل إليها لتكون له نهاية، هي نفسها اللحظة التي نتمنى أن نصل إليها لتكون لنا بداية.

نعم، هي البداية التي نريدها ونرسمها لأنفسنا.

نرسمها لأنفسنا بما نريده من مال وجاه ورغد عيش لنهنأ به في هذه الدنيا، ونظن أننا بذلك حصلنا على مبتغانا.

---

[1] سورة يوسف آية 101 .

نظن ذلك ونسينا أننا ما وجدنا هنا إلا لنخطو.

إلا لنسير نحو السعادة والنعيم الحقيقي.

نتمنى ذلك ونسينا الخطوات السابقة التي كنا نخطوها وما أن وصلنا إلى هنا وبدأنا نتذوق بعض النعيم حتى نسيناها.

نسيناها ولا نعلم هل كنا نخطو باتجاه الآخرة أم أننا كنا نخطو لنصل لقمة زينة الحياة الدنيا.

نسينا ونسينا ولنتذكر يوسف عليه السلام ذلك النبي الذي عرف حقيقة الدنيا وقيمتها، ما أن بدأ يتذوق حلاوتها إلا وتمنى الخروج منها.

تمنى الخروج منها لأن حلاوة الإيمان ألذ من حلاوة الدنيا.

تمنى الخروج منها بعد أن بلغ رسالة ربه.

بعد أن نشر العدل، وأقام حكم الله في الأرض.

بعد أن شعر أنه حقق ما يريد، وما يريده هنا لم يكن للدنيا، إنما ما يقدمه لدينه وأمته.

ما يقدمه لنفسه، وينال به نعيم الجنة برحمة ربه.

هكذا كان يوسف عليه السلام، وهكذا كان أنبياء الله في الأرض.

هكذا كان نبينا محمد ﷺ يوم أن قال وهو على فراش المرض: (إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده)[1]

لنتذكر ونحن نخطو في هذه الحياة أنه كما كان لخطواتنا بدايةً سيكون لها نهاية، وأننا سنخطو الخطوة الأخيرة لا محالة.

---

[1] رواه البخاري .

الخطوة التي سيكون لها الدور الكبير في تحديد مصير الواحد منا (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)[1].

ولذلك لنعلم أنه من أحسن البداية حسنت له النهاية.

لنعلم ذلك ونحن نخطو باتجاه السماء، ولا نعرف متى سينتهي الطريق.

متى سيقال لنا بأنه هنا انتهى كل شيء، ولذلك لنحرص على أن نصل للنهاية ونحن في قمة قربنا من الله، لا في أشد بعدنا عنه سبحانه.

إننا عندما نسافر إلى مكان ما فإننا نعرف بالتحديد كم بقي من الوقت لنصل، فالإشارات تنبئنا بالمسافة المتبقية، لذلك نختار طريقة الوصول بحسب ما نريد، لكن عندما يتعلق الأمر بالوصول إلى السماء وبرحلة الإنسان في هذه الحياة باتجاه الآخرة، فإن الأمر يختلف اختلافًا كليًا، فأنا وأنت وكلنا لا نعرف بالتحديد متى سنتوقف عن المسير على هذا الطريق، ولا نستطيع أن نتحكم في اختيار النهاية التي نريدها عند انتهاء الطريق، لأننا ببساطة لا نعرف متى سينتهي بنا الطريق، لذلك لابد لنا من أن نتنبه لأنفسنا ونحن نخطو، حتى إذا توقفنا فجأة نقف كما نريد وكما نتمنى.

إن ملك الموت يأتي للواحد منا دون استئذان وبلا موعد.

يختطفنا ونحن نخطو، لذلك كلما حسنت خطواتنا فلا يهمنا في أي منها نتوقف مادام أنها مستقيمة باتجاه السماء.

إنها خطوات لنسيرها كما نريد لأنها ستتوقف بدون أن نريد.

---

[1] رواه مسلم .

وقفة وداع

وانتهت الرحلة..

انتهت خطواتنا نحو السماء، وقُضي الأجل، ووصلنا للنهاية، وهنا لن نستطيع أن نخطو، ولن يكون الأمر لنا.

نحن الآن في رحمة الله، ولنعلم أن دخولنا الجنة لن يكون بخطواتنا إنما برحمة ربنا (لن ينجي أحدا منكم عمله، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته)[1] **.**

نعم، فما نقدمه ونحن نخطو لن يوازي ما أنعم الله به علينا في الحياة الدنيا، وعلى ذلك لنعلم أنها رحمة الله.

إنها رحمة الله، لا أعمالنا.

إنه عفوه وفضله سبحانه، لا حسناتنا.

إنه فضل الله عز وجل وإحسانه، وهنا لنتنبه لأمر مهم جدًا؛ وهو أننا قد نقصر في خطواتنا بحجة أننا سندخل الجنة برحمة الله.

نقصر في خطواتنا ونقول: إذًا، لماذا نخطو؟

نعم، سندخلها برحمة الله، لكن ينبغي لنا من أن نخطو.

---

[1] صححه الألباني في صحيح الجامع .

ينبغي لنا أن نحسن الخطوات لأنه سبحانه يوم أن يجدنا طائعين له خاضعين، أتعبنا المسير، سيتفضل علينا بأن يجعلنا من أهل النعيم ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّـهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّـهِ وَكَفَىٰ بِاللَّـهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾**﴾**[1].

إنه يوم أن تذللنا له ونحن نخطو فتفضل علينا سبحانه

تفضل علينا، ولذلك لابد لنا من أن نقبل إليه ونتقرب منه.

نقبل إليه و نسير بخطوات المنيب، الخائف، الراجي، المحسن الظن بربه، ليرحم تلك الخطى الراجية، ويتفضل عليها، لا أن نقف وقوف المتغطرس العاصي فيأخذنا أخذ عزيز مقتدر.

اللهم ارحمنا برحمتك، واغفر لنا، وتجاوز عنا وتقبل منا إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، و أهلينا، وحسن أولئك رفيقًا.

اللهم أغفر لوالدينا، ووالد والدينا، وأهلينا، وذرياتنا أجمعين، وأحبائنا يا ودود.

اللهم أحينا أعزاء، وتوفنا شهداء.

اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[1] سورة النساء آية 69 – 70 .

الفهرس

مقدمة 5

مدخل 7

قبل أن نخطو 9

الرحلة بحاجة إلى زاد 14

لا بأس بالمكوث قليلًا تحت ظل شجرة 31

انتبه أمامك منحدر 34

وأنت تخطو تذكر دعوة المسافر 51

وأنت تخطو أنثر البذور حولك 56

اعتز بخطواتك 69

حتى تصل اتبع الخريطة 73

العلم ينير الطريق 81

مع أي القوافل ستسير 85

وأنت تسير اتبع آداب الطريق 88

بالعدل يستقيم لنا الطريق 91
قيادة الطريق 97
لنجعل الحياة تسير 103
أنت من يحدد الخطوة الأخيرة 105
وقفة وداع 108
الفهرس 110

في هذا الكتاب ...
خطوات نحو السماء ..
نخطوها مع يوسف عليه السلام ..
خطوات نتأملها لنقتدي بها و لنصنع مثلها ..
نقتدي بها و حتى يعلم من يعلم أن الخطوات التى سار بها الأولون هي الخطوات التي لابد و أن نسير بها نحن و هي الخطوات التي سيسير بها من سيأتي من بعدنا لأن الطريق واحد والهدف المرجو واحد .
هي خطوات نحن بأمس الحاجة لها فى زمن أضعنا فيه الطريق .

محمد الدباسي

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

خطوات نحو السماء
محمد الدباسي